

محررة دروكة

تاريخ
الجنس
العربي

الأول والثاني

الكشفة العصرية
مسيديا - بيروت

تاريخ الجنس العربي

في

مختلف الأطوار والأدوار والأقطار

تأليف

محمد عزة دروزة

الجزء الأول

المقدمة وتاريخ الجنس العربي ومآثره في جزيرة العرب
قبل طور الغزوة الصليبية

الطبعة الأولى

مقوى الطبع محفوظة للمؤلف

منشورات المكتبة العصرية - صيدا - بيروت

اجزاء الكتاب وموجز مشتملاتها

اقترح الناشر ان ينشر الكتاب اجزاء صغيرة يشتمل كل جزء منها على فصل او فصلين ليسهل طبعه وانتشاره .

ونزل المؤلف على رأيه فجعل الكتاب اثني عشر جزءاً وهذا موجز مشتملاتها :

الاول : مقدمة الكتاب وابحاث تمهيدية في نشأة الجنس العربي ومصادر تاريخه وماثره فيها قبل دور العروبة الصريحة .

الثاني : الموجات العربية الى وادي النيل وماثرها فيه قبل العروبة الصريحة .

الثالث : = = = = = العراق = = = = =

الرابع : = = = = = بلاد الشام = = = = = فيها = = = = =

الخامس : مظاهر بروز العروبة الصريحة في جزيرة العرب وخارجها وتاريخ العرب وماثرهم في الجزيرة في هذا الدور .

السادس : الموجات العربية الى بلاد العراق والشام وماثرها فيها في دور العروبة الصريحة قبل الاسلام

السابع : الرسالة الاسلامية واثرها الخالد في الجنس العربي . والحركة العربية الاسلامية في عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين

الثامن : الحركة العربية الاسلامية في عهد الدولة الاموية الشامية والدولة الأموية الاندلسية .

التاسع : الحركة العربية الاسلامية في شمال افريقية في ظل الدول العربية والبربرية الى اليوم مع توزيع القبائل العربية

العاشر : الحركة العربية الاسلامية في ظل الدولة العباسية والدول غير العربية التي قامت في بلاد الشام والعراق ومصر في ظلها وبعد زوالها .

الحادي عشر : الدول والامارات والأمسر الاقطاعية العربية التي قامت في بلاد الشام والعراق في ظل السيادة التركية .

الثاني عشر: تموج القبائل العربية وتوزعها في بلاد العراق والشام ووادي النيل وما كان لها من مظاهر بروز في ظل السيادة التركية وبعدها

الثالث عشر: جزيرة العرب ودولها وقبائلها في العهد الاسلامي الى اليوم ونشؤ الدول العربية الحاضرة في بلاد الشام والعراق ووادي النيل ومظاهر تطورها مع ملحق برسالة الجنس العربي في الدنيا

وسيتراوح عدد صفحات الاجزاء بين ١٢٠ و ٢٥٠ صحيفة ومن الله العون والتوفيق ؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

يحتل الجنس العربي مكاناً فريداً بين الاجناس البشرية القائدة الهادية ذات الحيوة العظيمة .

ولقد اختصه الله برسالة الداعية اليه المرشدة الى الحق والخير وصلاح الانسانية فكان من آثارها اعتناق النصف المتمدن من البشر لها .

ولقد ازدهرت حضارته وثقافته فشعت على الكون وامتدت البشرية بنورها الوهاج وما تزال .

ولقد كانت رسالة الاسلام التي جاءت رسالة الانسانية الكاملة الشاملة واحتوت من المبادئ والخوافز ما يكفل سعادة البشر وصلاحهم وهدايتهم ما دامت الدنيا ذات اثر عظيم فيه بنوع خاص فطبعته بطابعها المقدس الخالد ، واثارت حيويته على اعظم مقياس ، وجعلته يحرر تحت رايتها اقطاراً شاسعة امتدت في الغرب حتى بلغت البحر الاطلسي وشملت جميع شمال افريقية وقسماً من جنوب اوربا وغرباً وتهيأ للتوغل فيها ، وفي الشرق حتى بلغت الهند والصين وتهيأ للتوغل فيهما كذلك وشملت بعض اقسامهما بالاضافة الى جميع بلاد الافغان والبلوج وايران وتركستان وبلاد الشام والعراق وجزيرة العرب وجنوب الاناضول ، وفي الشمال حتى بلغت بحر قزوين وما وراء القفقاس ، وفي الجنوب حتى شملت معظم وادي النيل ، ويخرج اهلها من الظلمات الى النور ويصبغها بصبغة الاسلام والعروبة ؛ ولو طال عمر الدولة الاموية الشامية الذي انقصف من غير انحلال بسبب المآرب الشخصية لفريق من العرب وتأثره مع الخاقدين والموتورين من العناصر الاعجمية مما ادى الى اندحار العرب عن القيادة واضعافهم لكان من المحتمل جداً ان يتسع النطاق حتى تشمل رسالة الاسلام والعروبة جميع المعمور ويتغير مجرى التاريخ .

ولقد كان هذا الجنس يتعرض من آن لآخر وقبل الاسلام وبعده لخطوب وهجات

وزحف فتساعده حيويته العظيمة على الصمود لها والتغلب عليها . وها هو اليوم يستيقظ من هجمته ليستأنف نشاطه ورسالته .

فهو من كل اعتبار جدير بان يعتني بتاريخه اعظم عناية ليكون فيه العظة والقوة والمدد لناشئته في دور يقظته الحديثة .

ولقد كتب في الحسين سنة الاخيرة فضلاً عما قبلها كتب كثيرة في تاريخ هذا الجنس قبل الاسلام وبعده . ولكن لم يأت اي منها سلسلة تامة الحلقات ينتظم فيها اطراف هذا التاريخ من فجر التاريخ الى اليوم ويبرز فيها خصائصه ومآثره في مختلف الاطوار والادوار والاقطار .

وقد رأينا من المفيد بعد ان اصدرنا سلسلة كتابنا « حول الحركة العربية الحديثة » ان نكتب كتاباً جامعاً بأسلوب يسد هذا النقص ويصل الحركة العربية القديمة بالحركة العربية الحديثة .

ولقد كتبنا منذ ثلاثين سنة بعض الفصول في تاريخ الجنس العربي بعنوان « نظرات في النزاع العنصري بين العرب وغيرهم » ، وكانت الخطوة التي رسمناها ان تكون هذه الفصول كتاباً يتناول تاريخ العرب وموجاتهم ومآثرهم وما سجل التاريخ من حركاتهم ونشاطهم وصلاتهم ونزاعهم مع العناصر الاخرى قبل الاسلام وبعده الى آخر الدولة العباسية ؛ ثم شغلنا الشواغل عن اتمام الفصول كتاباً ونشره .

وقد رجعنا الى تلك الفصول منذ سبع سنين فوجدنا كثيراً منها ما يزال صالحاً للنشر ومفيداً ومتسقاً في الوقت نفسه مع الفكرة التي رأيناها ؛ فعكفنا منذئذ على اعادة النظر في هذه الفصول على ضوء ما كان لنا من تتبعات وصار لنا من معارف وآراء جديدة ، واعدنا كتابتها بتوسع وتسلسل حتى اتسق منها هذا الكتاب الذي اشتمل على ثلاثة اقسام يتناول اولها مآثر ونشاط الجنس العربي في جزيرة العرب وخارجها قبل ان يكتسب شخصيته العربية الصريحة بصورة حاسمة ، او بعبارة اخرى قبل ان تصبح العربية الصريحة لغة له واسم العرب علماً عليه ؛ ويتناول ثانيها مآثر ونشاط هذا الجنس في الجزيرة وخارجها بعد ان اكتسب شخصيته العربية الصريحة قبل الاسلام ؛ ويتناول ثالثها مآثر ونشاط هذا الجنس في الجزيرة وخارجها كذلك بعد الاسلام الى يومنا هذا .

ومن الحق أن نقول ان الكلام على الاقسام الثلاثة التي تناولها الكتاب يتحمل سلسلة ضخمة من الاجزاء اذا اريد له ان يكون وافياً . لانه تاريخ آلاف السنين في اقطار عديدة شاسعة .

غير اننا جئنا الى الاقتضاب فيما هو غير ذي طائل من المادة التاريخية ولا يتصل بمقصدنا الذي نوهنا به آنفاً وخاصة في ما هو معروف ومشهور منها ، واكتفينا بالملاحظات حرصنا على ان تكون مع ذلك وافية ما امكن لتتبع تاريخ الجنس العربي وادواره واطواره وماثره وصلاته بمختلف الاجناس والاقطار والحركات من اقدم الازمنة الى الآن .

ومن الحق ان نقرر كذلك ان القاريء قد لا يجد في مادة الكتاب التاريخية شيئاً جديداً ، لان معظمها مقتبس من كتب المؤرخين والباحثين في التاريخ العام والخاص وتاريخ العرب والاسلام بنوع خاص . وهو امر طبيعي لان مادة التاريخ لا تتجدد ولان الذين يكتبونه من جديد انما يقتبس بعضهم عن بعض من الناحية الموضوعية .

وقد توسعنا في القسم الثالث بعض الشيء للفائدة التي رأيناها لذلك من حيث ان مآثر الجنس العربي بعد الاسلام وتاريخه ونشاطه كان وما يزال ذا صلة وثيقة بحياة العرب الحاضرة على اختلاف مظاهرها الدينية والاجتماعية والاخلاقية والقومية . وقد شرحنا في سياق ذلك مشاهد النزاع والصلات بين العرب والامم الاخرى التي اتصلت بهم بالحرب وبالحياء السياسية والاجتماعية والدينية وما انبثق عنها من آثار وحركات ومظاهر لادراك اسباب ما الم بالعرب وبلادهم طيلة الحقبة الطويلة التي اعقبت الدور الذهبي من عهد الدولة العباسية ومظاهر ومشاهد حيوية الجنس العربي التي ساعدته على الصمود امام تلك الآثار والحركات والمظاهر .

وقد جعلنا الحذر رائدنا في ما اقتبسناه من الكتب المتنوعة التي استندت فيما سجلته من احداث على الروايات . وقد حرصنا على هذا خاصة ازاء ما جاء في الكتب التي كتبت عن تاريخ صدر الاسلام واحتوت كثيراً من التناقض والاهواء، وعلقنا على نقاط كثيرة بما رأينا حقاً ومن شأنه ان يضع الامور في نصابها .

والجديد في الكتاب هو اولاً جمع وتنسيق اطراف تاريخ الجنس العربي ومآثره وحركاته وابراز حيويته وخصائصه في مختلف الاطوار والادوار والاقطار وقبل بروز الشخصية العربية الصريحة وبعدها وقبل الاسلام وبعده ، وعرض ذلك بعنوان الجنس العربي في نسق واحد متسلسل قائم على نظرية وحدة هذا الجنس ووجوب جعل ذلك اساساً لكتابة تاريخه . وثانياً ما عن لنا من آراء واستنتاجات وخواطر وتعليقات وتصويبات خاصة بسبيل ذلك . وثالثاً اشتماله على سلسلة متصلة الحلقات لتاريخ الدول والامارات العربية والاسلامية التي قامت في مختلف انحاء الوطن العربي مستقلة او تحت سيادة اخرى وخاصة الامارات العربية الاقطاعية التي قامت في بلاد العرب في ظل

السيادة التركية منذ القرن الهجري الرابع . ورابعاً اشتاله كذلك على سلسلة متصلة الحلقات لحركة القبائل العربية من بعد الاسلام الى اليوم وانتشارها وتوزعها في مختلف انحاء البلاد العربية . والسلسلتان هاتان خاصة لم تجتمعا في كتاب واحد ونسق واحد الى الآن فيما نعلم .

وكل هذا مما يحقق القصد الذي قصدنا اليه ومما يجعل الكتاب كما نرجو مفيداً لمن يريد ان يلم بمختلف حلقات وحركات وتاريخ وماثر الجنس العربي من اقدم الازمنة الى الآن متصل بعضها ببعض ، وخاصة من الناشئين وغير المتخصصين والمتفرغين الذين هم جبهة القراء والمثقفين ، والذين لا يجدون الحافز والوقت للاطلاع على المطولات ولا سيما العربية القديمة التي كتبت بأسلوب من العسير على الكثيرين ان يستسيغوه اليوم .

ونحب ان نستذكر امرأ مهماً وهو اننا حينما نقول « الجنس العربي » لا نقصد المعنى الفني الدقيق الذي يتميز به جنس بشري عن جنس آخر بخصائص جسمية في الدرجة الاولى مما كاد ان يكون غير قائم منذ الازمنة التاريخية المعروفة بسبب ما حدث من هجرات الامم وتمازجها دماً ومصاهرة وتقاليد وعادات ولغة وافكاراً ، وانما نقصد به المجموعة البشرية التي عاشت في جزيرة العرب منذ اقدم الازمنة التاريخية المعروفة وتشاركت في اللغة والافكار والتقاليد حتى صارت بها جنساً واحداً ؛ فلما اخذ ينساح من هذه المجموعة موجات الى المناطق المجاورة للجزيرة كان ذلك التشارك قد تم بينها ثم ظل قائماً .

وهذا لا يتعارض كما هو واضح مع احتمال كون المهد الاول لنواة هذه المجموعة ليس جزيرة العرب على ما يقرره بعض الباحثين (١) ولا مع احتمال تكون هذه المجموعة في عصور ما قبل التاريخ من عناصر افريقية واسيوية على ما يقرره بعض الباحثين كذلك (٢) . وكل هذا يقطع النظر كذلك عن احتمال تكون تلك المجموعة البشرية في جزيرة العرب قبل الازمنة التاريخية بمدة طويلة ، وعن احتمال انسياح موجات منها الى الاقطار المجاورة لها ثم الى ما ورائها قبل الازمنة التاريخية وتوطنها فيها كشمال افريقية مثلاً مما لا سبيل الى معرفته معرفة يقينية والكلام عنه بعلم ووثوق .

- ٢ -

والبند الاول من الجديد في الكتاب خاصة يهدف فيما يهدف الى تصحيح الخطأ

(١) و (٢) تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ١ ص ١٤٨ وما بعدها .

المشهور الذي يفصل تاريخ الاقوام او الموجات التي انساحت من جزيرة العرب الى الاقطار المجاورة لها قبل اكتساب الجنس العربي شخصيته العربية الصريحة عن تاريخ الجنس العربي ، والى عرض هذين التاريخين سلسلة واحدة متصله الحلقات على اعتبار انهما تاريخ جنس واحد .

وهذا منحى جديد في كتابة التاريخ العربي نعتقد انه الاوجه والاكثر اتساقاً مع المنطق والعلم . فجزيرة العرب لاسباب جغرافية واجتماعية واقتصادية ؛ مما يدخل في نطاق ذلك الجفاف والجذب والمنازعات القبليّة على الماء والكلأ والزراعة الخ . كانت وظلت منذ اقدم الازمنة التاريخية يقيناً وقبلها احتمالاً وقياساً ترسل موجاتها الى الاقطار المجاورة لها شمالاً وجنوباً ونعني وادي النيل والهلال الخصيب الذي يتكون من بلاد الشام والعراق فتنشر فيها وتنشئ المدن والقرى والدول وتبدي نشاطاً في مختلف المجالات وكانت مشاركة في اللغة والافكار والملاحم والطبائع .

وظل هذا التشارك قائماً بينها في مختلف الاطوار والادوار مما تؤيده الآثار والوقائع والشواهد وتقارير العلماء والباحثين على ما سوف نشرحه بعد ؛ حيث يبرر كل هذا اعتبارها جنساً واحداً وعرض تاريخها في سلسلة واحدة . وفي ذلك تصحيح للتوجيه التاريخي ، وتدليل على امتداد عروبة هذه الاقطار الحاضرة الى عشرات القرون قبل الاسلام ، واحباط لمكر المستعمرين والمبشرين والمستشرقين المغرضين واعداء العروبة الذين تتجاوز مكابرتهم كل حد ومنطق ، فيتجاهلون السيل العربي الصريح الذي اخذ يتدفق على بلاد العراق والشام قبل الاسلام وعليها وعلى وادي النيل منذ الفتح الاسلامي الى الآن دون انقطاع ويغمر مدنها وقراها وبواديها استمراراً لما كان يجري قبل دور العروبة الصريحة والذي تفوق اعداده اعداد سكان هذه البلاد اضغاث مضاعفة ، والذي يتمثل في كل ناحية من انحاء هذه البلاد وفي كل مظهر من مظاهر حياتها وتقاليدها ولغتها تمثلاً شاملاً قوياً ؛ ويحاولون فصل تاريخ سكانها القدماء عن تاريخ الجنس العربي ليوقروا في اذهان سكانها الحاضرين وهن الصلة بينهم وبين العروبة الاصيله، وليجعلوهم يعتبرون العرب الذين جاؤا الى هذه الاقطار تحت راية الاسلام غزاة كسائر الغزاة الذين طرأوا عليها ووطدوا حكمهم فيها بالقوة العسكرية وحسب ، وكون ما هنالك من فرق هو انهم اعطوا هذه البلاد دينهم ولغتهم كما كان وما يزال يث همساً تارة وصراحة تارة اخرى في مصر وبعض انحاء بلاد الشام وخاصة في لبنان .

ولقد حكم اليونان والرومان مصر وبلاد الشام الف سنة (٣٣١ ق م ٦٤٠ م)

وجاء منهم اليهما وخاصة من اليونانيين الآلاف المؤلفة واستقروا فيها ونشروا لغتهم وثقافتهم ؛ وقد جمع بينهم وبين سكانها دين واحد هو المسيحية قرابة اربعة قرون . وترجمت الى اليونانية الكتب الدينية المقدسة ، وصارت لغة عبادة وطقوس لكثير من النصارى فيهما ؛ ومع ذلك فانهم لم يستطيعوا ان يفرضوا على مصر وبلاد الشام طابعهم وصيغتهم ، بل لقد كان جمهرة اهلها يرونهم غرباء عنهم وينقبضون عن معاشرتهم ويعتبرونهم انجاساً (١) ؛ وكذلك شأن الفرس الذين كانت لهم السيادة على العراق اكثر من الف عام ٥٣٨ ق م - ٦٤٠ ب م وكان لمدينتهم وثقافتهم انتشار واسع حتى لقد مجسوا كثيراً من اهل البلاد ولكنهم لم يستطيعوا ان يفرضوا عليها طابعهم وصيغتهم ؛ في حين ان الموجات العربية الصريحة العروبة التي جاءت الى بلاد الشام والعراق في حكمهم ورضخ ملوكها لسيادتهم العليا اخذت تفرض طابعها على البلاد وتمتزج باهلها بسهولة ويسر ، ثم جاءت موجة الفتح الكبرى تحت راية الاسلام الى بلاد الشام والعراق ومصر فاخذ التمازج يشتد بينها وبين السكان السابقين ولم يكد يمضي بضعة اجيال حتى توطدت السيادة في هذه البلاد للطابع العربي الصريح وغدا شاملاً عاماً .

وليس هناك تعليل معقول لهذه الظاهرة الا صدق نظرية وحدة الارومة والدم والروح التي كانت تجمع بين القادمين من جزيرة العرب في دور العروبة الصريحة قبل الاسلام وبعده وبين سكان بلاد الشام والعراق ومصر الذين يمتون في اصولهم الى جزيرة العرب والجنس العربي ؛ حيث سهلت تلك الوحدة ذلك التقارب والتمازج وسيادة الطابع العربي العامة على هذه البلاد .

واذا كان بدا شيء من المناوأة ضد موجة الفتح من بعض سكان مصر والشام والعراق او تمرد على السلطان الاسلامي في اوائل عهده فرد ذلك الى الاعتبارات الدينية والتحريكات الاجنبية ، وليس من شأنه اضعاف النظرية . ولقد كان من جملة المناوئين والمتضامنين مع الفرس والرومان في بلاد الشام والعراق قبائل عربية صريحة من بهراء وكلب وسليح وتنوخ ونحلم وجذام وغسان في بلاد الشام (٢) وبكرين وائل وبنو العجل وقيم اللاة وضبيعة في العراق (٣) مثلاً .

(١) الكافي في تاريخ مصر لشاروييم ج ١ ص ١٤٦ - ١٤٧ والفرون القديمة لبريستيد ترجمة قربان ص ٣١٥ وتاريخ الابصار ليسوعي لامانس ج ٢ ص ٣٥ - ٣٨ والمجلد الثاني من مجلة الحوليات السورية لسنة ١٩٥٢ والتاريخ العام الكبير لاحمد رفيق ج ١ ص ١١٥ و ج ٢ ص ٢٦١
(٢) الطبري ج ٢ ص ٥٨٧ (٣) نفس المصدر ص ٥٦٠

واذا كان حقاً ان الذين ظلموا في جزيرة العرب قد احتفظوا بتقاوة سلالتهم وأصالة لغتهم اكثر من الذين انساحوا الى خارجها (١) ؛ وان هؤلاء قد اختلطوا بعناصر وأمم اخرى ممن كان في الارض الجديدة التي حلوا فيها وبمن جاء اليها بعد حلولهم واكتسبوا كثيراً من دماثهم ولغتهم وعاداتهم وبالتالي اكتسبوا شخصية خاصة نوعاً ما فان هذا ليس من شأنه ان يخرجهم من جنسية العروبة ويجعلهم امماً غريبة عنها، ويرر عدم سلك تاريخهم في سلك تاريخ الجنس العربي أسوة بمن ظلوا مستقرين فيها بالنسبة للزمن التاريخي الذي عاشوا جميعهم فيه ؛ لان وجوه التشابه والتشارك بينهم وبين اولئك المستقرين وفيما بينهم أنفسهم على اختلاف الاقطار التي حلوا فيها وعلى اختلاف الادوار التي عاشوها كذلك ظلت بارزة .

- ٣ -

واوصاف التشارك اللغوي خاصة قوية حتى لكاد تسوغ وحدها دعوى وحدة الارومة بين الموجات التي خرجت من جزيرة العرب في مختلف ادوار التاريخ القديم وبين الذين بقوا في هذه الجزيرة من الجنس العربي . وهو ، لاحظه الباحثون حيث رأوا وجوه تشابه ظاهرة بين اللغات البابلية والكنعانية والعبرانية والفينيقية والارامية والعربية والانهجات العربية الجنوبية والحبشية والنبطية وامثالها من حيث انها تشترك او تتقارب في جذور الافعال وفي تصاريف الافعال وفي زمني الفعل الرئيسيين وهما الماضي والمستقبل او التام والناقص وفي اصول المفردات والضمائر ولا سيما الدالة على القرابة الدموية والاعداد وبعض اعضاء الجسم وفي تغير الحركات وسط الكلمات الذي يحدث تغيراً في المعنى وفي التعابير التي تدل على منظمات الدولة والمجتمع والدين ، فقالوا بوجود وحدة مشتركة كانت تجمع شمل الاقوام الذين كانوا يتكلمون بهذه اللغات واطلقوا على ذلك الاصل او الوحدة « الجنس السامي » وعلى اللغات التي تكلمت وتتكلم بها هذه الاقوام

(١) كثير من المستشرقين وفي طليعتهم اوسهوزن يقررون ان اللغة العربية هي اقرب لغات الساميين الى اللغة السامية القديمة الاولى التي تفرعت عنها اللهجات التي تكلمت بها الموجات العربية والاجيال العربية القديمة بسبب انها حافظت على نقاوتها اكثر من اللغات الاخرى التي تأثرت بمن سكن الناطقون بها منهم في البلاد التي حلوا فيها بعد نزوحهم من الجزيرة ، وانها تحتوي عناصر لغوية قديمة جداً بسبب وجودها في مناطق منعزلة عن العالم بعيدة عما يتوارد عليها من تقنيات وتغيرات يكثر حدوثها وتختلف نتائجها اختلافاً مستمراً في البلدان المتحضرة . (تاريخ اللغات السامية لاسرأتيل ولندون ص ٧ وما بعدها)

« اللغات السامية » (١).

ولقد جاء في كتاب الأساس للغات والأمم السامية لعطيه الابراشي ورفقاء « بمقارنة اللغات السامية مقارنة لفظية » اتضح للباحثين فيها أن أصول كلماتها واحدة مشتركة كثيراً ما يكون معاني هذه الكلمة لا تغير فيها بمعنى كذا في اللغة العربية مثلاً وبه نفسه في العبرانية أو السريانية أو أي لغة سامية أخرى . وفي بعض الكلمات ترى الاشتراك اللفظي مع التحوير في المعنى بحيث تكون الكلمة في العربية بمعنى وهي بلفظها في العبرانية أو السريانية بمعنى آخر . غير أن العلاقة بين المعنيين لا تلبث أن تبدو يبحث سير ، وتظهر أن التغير جاء بناء على التطور المعروف في معاني الكلمات . فبالمقارنة اللفظية الفنية أصبح مما لا جدال فيه مطلقاً أن جميع اللغات السامية الداخلة في مجموعة واحدة هي لهجات متقاربة جداً ترجع إلى لغة واحدة وأن جميع الشعوب التي تتكلم بها هي فروع جنس واحد يرجع إلى جماعة أولى هي أصل هذه الفروع . وبمقارنة لغتين من اللغات السامية مقارنة معنوية أدبية تخرج بنتائج قيمة صادقة في شأن العلاقات التي تربطها ببعضهما في الشؤون الدينية وأنواع الصناعات العملية المكونة للحضارة والنظر العلمي الاجتماعي والنظر الفلسفي والمجهود العقلي والتاريخي في حدود الروايات والأساطير والمجهود العقلي والأدبي المعبر عن الذوق وسمو الروح (٢)

وجاء في كتاب تاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولنغستون (٣) : تتميز اللغات السامية في بعض أحوالها عن أنواع اللغات الأخرى بميزات وخصائص تجعل من كل هذه اللغات كتلة واحدة . وأهم تلك الميزات ما يلي :

١ — تعتمد اللغات السامية على الحروف الصامتة وحدها ولا تلتفت إلى الأصوات بمقدار ما تلتفت إلى الصامتة .

٢ — أغلب الكلمات السامية يرجع اشتقاقه إلى أصل ذي ثلاثة أحرف أو حرفين .

٣ — يسود على اللغات السامية ظاهرة الفعل لأن اشتقاقات كلماتها هي في الأصل من فعل .

٤ — ليس في اللغات السامية أثر لادغام كلمة في أخرى حتى تصير الاثنان كلمة واحدة تدل على معنى مركب من معنى كلمتين مستقلتين كما هي الحال في غيرها .

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام دكتور جواد علي ج ١ ص ١٤٨

(٢) ص ٤٤ - ٤٥ (٣) ١٤ - ١٥

وهذا هو سبب ظهور الاعراب في اللغة العربية . وهناك شيء من بقايا الاعراب في أغلب اللغات السامية .

وتظهر اوجه الشبه في اغلب اللغات السامية خاصة في الاشياء التي كانت معروفة لهم جميعاً كأسماء الجسم والضمائر حيث هي متقاربة في جميعها تقريباً .

وهناك آلاف المفردات المتقاربة في اللفظ والمعنى في اللغات الاشورية والبابلية والآرامية والعبرانية والكنعانية والسبئية والاثيوبية والمصرية تؤيد ذلك كما ان هناك آلاف الاعلام في بلاد الشام والعراق ومصر وجزيرة العرب متقاربة في اللفظ والمعنى وعليها لغة العروبة القديمة بادية تؤيد ذلك ايضاً مما سوف نورد نماذج منه في فصول الكتاب .

ونحن نعرف أن هناك من لا يسلم بأن التشارك اللغوي بين الشعوب المسماة بالساميين دليل على وحدة الاورمة بينها ، ويقس ذلك على التزوج في اميركا الذين يتكلمون الانكليزية مثل الاميركيين في حين انهم يفرقون عنهم في الجنس يقيناً (١) غير ان هذا منهم تمحل ومن قبيل القياس مع الفارق لان التشارك حينما يكون بين جميع الموجات التي خرجت من الجزيرة واحدة بعد اخرى خلال حقب طويلة متتابعة تبلغ آلاف السنين ثم بينها وبين الذين بقوا في الجزيرة وهو ثابت بالمقارنة يصبح دليلاً حاسماً .

ومن هذا القبيل ما يقوله الذين يكابرون وينكرون الصلة بين سكان مصر القدماء وبين جزيرة العرب والجنس العربي برغم تقرير كثير من الاختصاصيين في الآثار المصرية والتاريخ المصري (٢) من ان ما في اللغة المصرية من مفردات عربية لا يصح أن يتخذ

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ١ ص ١٦٨

(٢) هناك جبهة من مؤرخي تاريخ مصر القديم وعلماء آثارها يقولون ان معظم سكان مصر القدماء هم موجات طرات على مصر من جزيرة العرب من طريق باب المندب تارة ومن طريق برزخ السويس تارة وقد عمت لفتها وطبعت مصر بطابعها مثل عالم الآثار المصرية والتاريخ المصري الشهير بريستيد في كتابه تاريخ مصر من اقدم العصور وترجمة حسن كمال ص ١٧ وحسن كمال في كتابه تاريخ السودان القديم ص ٥ واحد نجيب الاثري في كتابه الاثر الجليل لسكان وادي النيل ص ١٢ واحد رفيق في كتابه التركي التاريخ العام ج ١ ص ٥٥ وغوستاف لوبون في كتابه الحضارة المصرية ص ١٢ وسفيدج والاسكندري في كتابها تاريخ مصر قبل الفتح وبعده ج ١ ص ٦ - ٧ والابراشي ورفقاء في كتابهم الاساس في اللغات والامم السامية ص ١٥ - ٣٧ وفليب حتي في كتابه تاريخ العرب ج ١ ص ٧ والعالم الاثري ويجيل في كتابه تاريخ مصر القديمة وعالم الآثار المصرية جوستاف جيكي في تاريخ المدينة المصرية وهنري بروخ الالماني وهنري جونسون الانكليزي في كتابها تاريخ مصر واماسدرو في كتابها تاريخ الشرق . ومنورد موجز اقوالهم في الجزء التالي .

دليلاً على وحدة الجنس بين المصريين القدماء والعروبة لأن ذلك إنما كان نتيجة للاختلاط الذي وقع بين المصريين والاقوام التي كانت تسكن في الاقطار المجاورة مما يمت في اصله الى جزيرة العرب والجنس العربي ، ويشبهون ذلك بما دخل الى اللغات الانكليزية والفرنسية والاسبانية والتركية والفارسية من الفاظ عربية وما دخل الى اللغة العربية من الفاظ افرنسية وانكليزية واسبانية وتركية وفارسية ورومية نتيجة لمثل ذلك الاختلاط وظروفه . غير ان الامر حينئذ يكون امر آلاف مؤلفة من الكلمات (١) يكون مثل هذا القول تمحلاً أكثر منه علماً وقياساً مع الفارق كذلك . اذ لا يمكن ان تصل الكلمات العربية في اللغات الافرنسية والانكليزية والرومية الى مثل هذه السعة . وقد تكون الكلمات العربية في اللغات الفارسية والتركية والاسبانية استثناء لانها تبلغ فعلاً الألوف وخاصة في الفارسية والتركية اللتين غدت العربية عنصراً أساسياً فيهما لا غنى عنه . وسبب ذلك ان العرب قد بسطوا سلطانهم وفرضوا طابعهم ولغتهم على بلاد الفرس والترك وقسم كبير من بلاد الاسبان وشعوبها وصار شأن العرب في ذلك كشأنهم الذي نشير اليه في مصر تقريباً كما هو المتبادر .

على ان التشارك في اللغات التي تكلم بها الاقوام الذين خرجوا من جزيرة العرب الى الاقطار المجاورة لها والذين بقوا فيها ليس هو الدليل الوحيد على وحدة الارومة والمنشأ بينهم . لان هذه الاقوام متشاركة ايضاً في العقائد والتقاليد والملاحج والافكار على ما يقرره الباحثون .

ولقد جاء في الجزء الاول من تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي (٢) عزوا الى ابرهود شرادر ودي كويه وهربرت كومه وكارل بروكلمن وكينك وجول ل . ماير وكوك ودتلف نلسن ان معظم المدن والقرى التي تكونت في العراق او الشام انما

(١) قال العالم الاثري المصري الشهير احمد كمال على ما نقله حسن كمال في كتابه تاريخ السودان القديم ص ٧٧ ان اصل اللغة المصرية واللغة العربية واحد وان الاختلاف الظاهر بينهما ليس الا نتيجة اسقاط بعض كلمات في بلاد العرب وبقائها في وادي النيل او العكس ثم نتيجة لما يعترى الكلمات من القلب والابدال وما يطرأ على اللغات من تغير بجملة الاجاب . وقد وضع هذا العالم قاموساً اثرياً فيه ثيف وعشرة آلاف كلمة عربية ومصرية متشاركة في المعنى والمبنى للتدليل على ذلك ، وفيه دليل بطبيعة الحال على وحدة المنشأ والارومة بين سكان مصر والعرب وجزيرة العرب . وللمستشرق الالماني ايمر كتاب فيه آلاف الكلمات المصرية والعربية والعبرانية المتشاركة في المعنى والمبنى ايضاً . ونرجو ان نورد جملة من هذه الكلمات في الجزء الثاني من الكتاب في مقام الشاهد .

(٢) ص ١٥١ - ١٥٣

كونها عناصر بدوية استقرت في مواضعها واشتغلت في إصلاح اراضيها وعمرانها واشتغلت بالتجارة فنشأت تلك المدن والقرى من ذلك ؛ وانه لما كان اكثر هذه العناصر البدوية قد جاءت من جزيرة العرب فتكون الجزيرة قياساً على ذلك هي الموطن الذي غذى الشرق الادنى بالساميين وارسل اليه موجات متوالية منها ؛ وان هناك ادلة دينية ولغوية وتاريخية وجغرافية يستند اليها هؤلاء العلماء في تقرير وحدة الأصل والارومة والملئشأ بين الشعوب التي تنعت بالسامية .

وقد جاء في هذا الجزء نفسه من هذا الكتاب (١) نقلاً عن فيلي صاحب الدراسات المسهبة لاحوال جزيرة العرب ان العربية الجنوبية قد ارسلت موجات متعاقبة من البشر سلكت الطرق البرية والبحرية حتى وصلت الى المناطق التي استقرت فيها . وهاجرت وقد حملت معها كل ما تملكه من أشياء ثمينة . حملت معها آلهتها واولها الاله القمر وحملت معها ثقافتها وخطها الذي اشتقت منه سائر الاقلام ومنه القلم الفينيقي وطبعت تلك الارضين الواسعة التي حلت فيها بهذا الطابع السامي الذي ما زال باقياً حتى اليوم .

ولقد جاء في كتاب « محاضرات في تاريخ العرب » للدكتور احمد صالح العلي (٢) عزوا الى رينان ان الساميين جنس منحدر من أصل واحد مشترك يتميز افرادة بتشابه لغاتهم وبتركيب عقليتهم وبنظرتهم الجزئية للأشياء وتأثرهم بالغيبيات وميلهم الى البساطة في التفكير والوحدانية في الدين وان ظهور الاديان الموحدة الثلاثة الكبرى اي اليهودية والمسيحية والاسلام بين الساميين يرجع الى طبيعته تفكيرهم ؛ وان هذه الميزات التي تتصف بها العقلية السامية ترجع الى عوامل بيولوجية ووراثية في الجنس وانهم بذلك يختلفون اساسياً عن الآريين .

وفي نفس الكتاب (٣) عزوا الى ما كتبه كوك في الفصل الرابع من تاريخ كبردج القديم انه لوحظ تشابه كبير في اللغة والعادات الاجتماعية والافكار واساليب الحياة بين سكان معظم الشرق الأوسط مما يسوغ الاعتقاد بان ذلك يرجع الى تحدرهم من أصل واحد .

ولقد جاء في كتاب الاساس في الأمم السامية ولغاتها لعطيه الابراشي ورفاقه (٤)

(١) ص ١٦٠ - ١٦١

(٢) ص ١ - ٢ (٣) ص ١

(٤) ص ١٥ وما بعد

لأنه على أي تقسيم قسمت اللغات السامية فإن الحقيقة الكبرى هي أنها لغات جماعة بشرية واحدة كونت جنساً بشرياً واحداً وهو الجنس الذي عرف باسم الجنس السامي والذي عرفت شعوبه باسم الشعوب السامية والتي تحضرت في اطراف جزيرة العرب وفيما وراء هذه الاطراف مع بقاء وحدة التفكير والخيال جامعة بينهما .

فكل هذا وغيره مما سوف نشرحه ونقدم الشواهد عليه في الفصول التالية مبرر قوي لسلك تاريخ الجنس العربي في الجزيرة وموجاته الى الهلال الخصيب (بلاد الشام والعراق) وإلى وادي النيل (مصر واليمنية الكبرى) قبل دور العروبة الصريحة في سلك واحد كما هو المتبادر .

ولقد سلك جرجي زيدان تاريخ الرعاة والبابليين الذين منهم حمورابي في ملك التاريخ العربي وسلك هو وفيليب حتي وجواد علي بل وجميع من كتب تاريخ العرب تاريخ الدول والامارات والشعوب في جنوب جزيرة العرب وشمالها مع دول الانباط وتدمر في بلاد الشام في سلك واحد ولم تكن العربية الفصحى قد غدت لغة لها بل ولم تكن تسمى باسم العروبة ، وكانت الموجات التي اقامت دولها خارج الجزيرة منها قد كسبت هي الاخرى شخصية خاصه نوعاً ما في الأرض الجديدة التي استقرت فيها وتأثرت فيها بمن كان فيها ومن جاء اليها من غير جنسها . ولا نرى كبير فرق بين ما فعلوه وما نحن بسبيله .

ولقد كسبت الموجات العربية التي خرجت من جزيرة العرب الى بلاد الشام والعراق ومصر وشمال إفريقيا تحت راية الاسلام شخصية خاصة نوعاً ما هي الاخرى في الارض الجديدة التي حلت فيها ، ولم يفصل احد من العرب وغير العرب تاريخهما عن التاريخ العربي قبل الاسلام وبعده كما لا يخفى .

- ٤ -

وتسمية الجنس السامي Semitic Race واللغات السامية Semitic languages هي تسمية حديثة وضعها مستشرق نمساوي اسمه ايشهورن سنة ١٧٨١ ب.م. نسبة الى سام بن نوح الذي يذكر سفر التكوين ان الاقوام الذين عاشوا في جزيرة العرب والاقطار المجاورة لها هم من ذريته .

وهي تسمية ليس لها سند من تاريخ وعلم واثار (١) . ومن العجيب انها انتشرت

(١) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ١ ص ١٤٩ ومقدمة في تاريخ الحضارات القديمة لطلح باقر وغيرها كثيرون يقولون ذلك .

بين علماء الغرب وسرت الى مؤرخي العرب وكتابهم بطريق العدوى الاقتباسية المعتادة مع ان تسمية الجنس العربي واللغات العربية هي على كل حال اصح منها ؛ لأن موطن الاقوام التي سميت بها اي الكلدانيين والعموريين والأشوريين والاكديين والآراميين والكنعانيين والمصريين والاثيوبيين والعرب القدماء والمتأخرون في جنوب الجزيرة وشمالها والاقطار المتاخمة لها التي نوهنا بتشاركها اللغوي والاجتماعي والفكري والديني وسقنا الدلائل والاقوال فيه وما ينتج عنه من وحدة الارومة والمنشأ هو عند جمهرة الباحثين جزيرة العرب (١) ، ولأن هذه الجزيرة اخذت تذكر باسم العروبة الصريح في كتب اليونان والرومان واسفار العهد القديم منذ الفين وخمسائة سنة ، ولأن اسم العرب الصريح اخذ يطلق على اهلها المستقرين في داخلها وتخومها الشمالية جزئياً ثم شمولياً منذ الفين وخمسائة سنة كذلك بل وقبل ذلك على ما تدل عليه النقوش والمدونات القديمة التي سوف نورد نصوصها في الفصول التالية ، الامر الذي ينطوي على الدلالة على ان هذا الاطلاق وذلك كانا راهنين قبل تدوين المدونات ونقش النقوش ؛ ولأن اللغة التي تكلم بها سكان جزيرة العرب ومواطن العرب الثانية خارجها منذ اكثر من التي سنة هي اللغة العربية الصريحة بقطع النظر عن تعدد لهجاتها وبعدها قليلا او كثيراً عن اللغة القرآنية المفصحة على ما تدل عليه آثار واسماء وأعلام ونقوش السبئيين والحميريين والنبطيين والتدمريين الذين برزوا في مجال الحضارة والحكم والسلطان داخل الجزيرة وخارجها قبل الميلاد على ما سوف نورده في فصول الكتاب ..

واستمراراً على ذلك الخطأ او نتيجة له فرقوا بين تاريخ جزيرة العرب وسكانها وبين تاريخ الموجات التي انساحت منها في القديم، وجعلوا تاريخ كل موجة بمثابة تاريخ امة مستقلة قائمة بذاتها .

وقليل منهم من قرر هذا الخطأ وأنكره وارتنأى تسمية الاقوام العربية لكل من سكن الجزيرة او خرج منها كما فعل جواد علي في كتابه تاريخ العرب قبل الاسلام حيث

(١) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ١ ص ١٤٨ وما بعدها وج ٢ ص ٢٨٧ وما بعدها وتاريخ مصر منذ العصور القديمة لبريستيد وتاريخ العصور القديمة له وتاريخ سورية للديس مجلد ١ ج ١ ص ٢٥٥ وما بعدها وتاريخ انتفاة السامية لاسرائيل ولنسقون وتاريخ العرب المطول لحي ج ١ والاسس في الامم السامية ولغاتنا لابراشي وعنان وعمرز وتاريخ السودان العام لذكور حسن كمال والاثر الجليل لسكان وادي النيل لاحد نجيب والحضارة المصرية لفوستاف لويون والتاريخ العام بالتركي لاحد رفيق ج ١

قال في جزئه الثاني (١) إذا أردنا أن يكون كلامنا علمياً أو قريباً من العلم وجب علينا إهمال كلمة « الشعوب السامية » و « الساميين » وتبديلها بكلمة « الشعوب العربية » و « العرب » لأن هذه التسمية ملموسة المفهوم بينما تلك اصطلاح مبهم ؛ وكما فعل مؤلفو معالم الحضارات في الشرق والغرب الرفاعي ورفقاه حيث قالوا طغى اسم « الشعوب السامية » على الاقلام بالمعنى الجنسي لسكان جزيرة للعرب والنازحين منها وهي تسمية لا مبرر لها سوى رواية التوراة والاصطلاح الشائع ؛ والاصح الذي يتمشى مع المنطق التاريخي أن تسمى باسم « الشعوب العربية » لاننا نجد اسم العرب منذ القديم في الآثار البابلية والآشورية والعبرية ولان الفرس واليونان والرومان اطلقوا على سكان جزيرة العرب اسم العرب منذ الالف الاول قبل المسيح .

ومع هذا فان مؤلفي هذين الكتابين لم يصروا على التسمية التي صوبوها بحق ولم يحجروا على مقتضى ذلك من سلك تاريخ سكان جزيرة العرب الاقدمين وتاريخ الموجات الآرامية والكنعانية والعمورية والكلدانية والآشورية والمصرية والآثيوبية التي خرجت منها في سلك واحد ، بل عادوا فاندججوا في ذلك الخطأ واستمروا عليه حيث ظلوا يذكرون من اناساح من جزيرة العرب قبل العروبة الصريحة باسم الساميين والشعوب السامية ؛ ويفصلون بين تاريخهم وتاريخ سكان الجزيرة والعرب في دور العروبة الصريحة .

وفعل مثلهم تقريباً مؤلفو كتاب الاساس في اللغات السامية ، فقد جاء في هذا الكتاب : « وخلاصة القول إن الجماعة الأولى السامية هي الجماعة العربية وان مهد الساميين الاول هو مهد هذه الجماعة الأصلي وهو نجد والحجاز والعروض واليمن وما الى هذه البقاع ومنها جميعاً ابتدأت الهجرة « السامية » الاولى الى شمال الجزيرة ومشارف الشام والعراق حتى تخوم بلاد ايران ثم إلى بلاد الحبشة ووادي النيل وان الامة العربية قديماً وحديثاً هي « الجنس السامي » بأكمله وأن منزلة جميع الوحدات « السامية » من العرب منزلة الشعوب المتفرعة عن امة واحدة من دوام الاتصال بين الفرع والأصل وإستمرار المدد من الأصل إلى الفرع وان منزلة اللهجات « السامية » من اللغة العربية منزلة الفروع الدانية من الأصل الواحد » (ص ٣٧ وما بعدها) .

ومما وقع فيه الذين كتبوا تاريخ الشرق العربي القديم من التناقض انهم بينما فصلوا تاريخ الموجات العربية في بلاد الشام والعراق ووادي النيل عن تاريخ الجنس العربي

جعلوا تاريخ المعنيين والسبئيين ودول اليمن الاخرى وشعوب شمال الجزيرة واماراتها في القرون القديمة في سلسلة هذا التاريخ مع أن هؤلاء لم يوصفوا في اي اثر قديم بصفة العروبة بالتخصيص ، ولم يكونوا اكثر قرباً في لغاتهم وصيغتهم الجنسية بوجه عام الى العرب في دور العروبة الصريحة من الموجات التي انساحت من الجزيرة إلى وادي النيل والحلال الخصيب في تلك القرون ؛ بل كانوا اكثر قرباً الى هذه الموجات على اعتبار تقارب الزمن التاريخي الذي عاشوا فيه جميعاً .

بل هناك ما هو ادعى الى العجب . فقد سلك جرجي زيدان الدولة البابلية التي من ملوكها حمورابي ودولة الرعاة في مصر في سلك تاريخ العرب قبل الاسلام في كتابه المعنون بهذا العنوان (١) ، ولم يسلك بقية الدول التي قامت في بابل ونيوى وسواحل بلاد الشام ودخلها وجنوبها والتي يقرر هو بالذات انها من الارومات التي تمت الى جزيرة العرب وتشارك في اللغة والعادات والافكار كالأشوريين والكلدانيين والآراميين والكنعانيين .

فنحن إذ نسمي كتابنا باسم « تاريخ الجنس العربي » وإذ نسلك تاريخ الاقوام للذين يمتون إلى جزيرة العرب سواء منهم الذين خرجوا منها أم الذين بقوا فيها قبل العروبة الصريحة وبعدها في سلك واحد ، ونقدمه حلقات متصلاً بعضها ببعض نتوخى فيما نتوخاه تصحيح هذا الخطأ الشائع وتسمية الامور باسمائها الصحيحة أو ما هو الاوجه والأقرب الى الصحة . وهذا بالإضافة الى ما في ذلك من ابراز سعة نطاق نشاط الجنس العربي وحيويته في مختلف المجالات الفكرية والادبية والحضارية والسياسية والعسكرية وفي مختلف المواطن التي انساح اليها منذ اقدم الازمنة وكانت مصدرأ رئيسياً من مصادر الحضارة البشرية التي شعت على العالم من جهة والوصل بين حيوية العروبة في دورها الصريح وبين حيويتها قبل هذا الدور .

- ٥ -

ونحن نعرف ان هناك من باحثي الافرنج من لا يسلم بان جزيرة العرب هي مهد الشعوب التي اطلقوا عليها اصطلاح الشعوب السامية ؛ ومنهم من يقول إن هذا المهد هو جزيرة الفرات أو بادية الشام أو ارمينية أو اثيوبية أو يتردد في الجزم . غير ان كثيراً من الباحثين بل اكثرهم يقررون ان هذا المهد هو جزيرة العرب . ومنهم من يخصص جنوب الجزيرة ويقولون ان الشعوب « السامية » انساحت منه الى سائر انحاء الجزيرة ثم الى الاقطار المجاورة لها شمالاً نحو بلاد الشام والعراق وجنوباً نحو شواطىء افريقية فاثيوبية ووادي النيل .

(١) ص ٤٠ - ٥٢ و ٥٦ - ٦٠

ويبدو من خلال اقوال الطرفين ان الخلاف هو على مهد الجرثومة الاصلي لهذه الشعوب قبل عهود التاريخ المعروفة . ومن اصحاب القول الاول من يقول ان جرثومة هذه الشعوب هاجرت من مهدها الاول الى جزيرة العرب قبل عهود التاريخ ثم اخذت تنساح منها الى الاقطار المجاورة ؛ وبعبارة اخرى ان اصحاب هذا القول يلتقون مع الاولين في دور من ادوار تاريخ الجنس العربي والجزيرة (١) .

ومهما يكن من امر مهد الجرثومة الاولى الاول ، وحتى على احتمال ان لا يكون هذا المهد جزيرة العرب ، وحتى على احتمال ان يكون سكان الجزيرة الاولين من عناصر مختلفة اسبوية وافريقية (٢) تقاربت وتمازجت وتشاركت مع الزمن فان هذا مما يعود كما قلنا قبل الى عهود ما قبل التاريخ ، ران عهود التاريخ حينما اطلت كانت الجماعة العربية المتشاركة في اللغة والعادات والعقائد قد قامت في جزيرة العرب ، واخذ ينساح منها من ينساح الى الاطراف ويبقى فيها من يبقى مما تؤيده الوقائع التي جرت وظلت تجري منذ اقدم الازمنة التاريخية المعروفة الى اليوم ، ولم يبق موضوعاً تاريخياً قديماً مضى وانقضى ، وغدا محل تقي واثبات وظن وابداء واعادة ؛ حيث كانت القبائل وظلت تنساح من مختلف انحاء جزيرة العرب متلاحقة بسدون انقطاع من الجنوب عن طريق باب المندب الى شواطئ افريقية الشرقية فاثيوبية فمصر احياناً ومن الجنوب الى شواطئ بحر الهند والخليج العربي - الفارسي فالعراق وبلاد الشام احياناً ومن الشمال الى بلاد العراق والشام ومن هنا الى مصر عن طريق برزخ السويس احياناً ؛ وكان ذلك قبل دور العروبة الصريحة ثم استمر بعد بروز العروبة الصريحة قبل الاسلام ثم استمر منذ الاسلام الى اليوم ؛ ومما سجلت احداثه القديمة نقوش المصريين والاشوريين والكلدانيين واسفار العهد القديم وكتب اليونان والرومان القدماء ، ومما تواصلت احداثه الجديدة فيما عرف يقيناً من انسياح القبائل العربية من جزيرة العرب في دور العروبة الصريحة قبل الاسلام الى العراق وبلاد الشام ثم بالقبائل التي جاءت تحت راية الاسلام واخذت تنتشر كذلك

(١) في الجزء الاول من كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي (ص ١٤٨ وما بعدها) فصل قيم استعرض المؤلف فيه وناقش اقوال ونظريات الباحثين في موضوع وحدة الارومة بين الشعوب « السامية » وصلتها بجزيرة العرب ويبدو منه ان القائلين بوحدة الارومة وكون جزيرة العرب هي موطنها هم الاكثر والاقوى حجة .

(٢) نفس المصدر .

في بلاد الشام والعراق ووادي النيل وشمال افريقية ، ثم بالقبائل التي ظلت تأتي من الجزيرة بعد الموجة الاسلامية الأولى وتنتشر في مختلف انحاء هذه البلاد ، ثم بالصورة الحية الماثلة اليوم بالقبائل الغادية الرائحة او المستقرة التي تملأ جنبات هذه البلاد كذلك ، والتي يعرف يقيناً انها انساحت من جزيرة العرب ومنها من يمت الى القبائل القديمة ومنها من جاء قبل قرن او قرون قليلة على ما سوف يأتي الكلام عنه باسهاب اكثر في قصول الكتاب .

- ٦ -

وقبل ان ننتهي من كلمتنا نريد ان نشير الى كتابين ظهرا حديثاً في تاريخ العرب في اثناء عكوفنا على تدوين هذا الكتاب .

أولهما كتاب تاريخ العرب للدكتور فيليب حتي ورفيق له وصف بالمطول . وقد كتب هذا الكتاب مع مختصر له في الاصل باللغة الانكليزية ثم ترجم الى العربية . ورغم وصفه بالمطول فليس فيه غناء للعربي الذي يريد ان يلم بجميع ادوار التاريخ العربي في مختلف الاطوار والاقطار المأماً وافياً وان صح ان يكون كذلك بالنسبة لمن يعرف الانكليزية من غير العرب . وهذا فضلاً عن ان فيه مأخذ تاريخية واجتهادية كثيرة يراها غير واحد من الباحثين انها غير بريئة ؛ هذا أولاً ، وثانياً : انه جرى على الاسلوب المؤلف من قصر البحث على عرب الجزيرة ومهاجرها في دور العروبة الصريحة دون الذين خرجوا من الجزيرة الى هذه المهاجر قبل هذا الدور .

أما الكتاب الثاني فهو تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي الذي ظهر منه الى الآن خمسة مجلدات . وهو والحق يقال من انفس الكتب وافضلها في بابه وقد خدم المكتبة العربية والتاريخ العربي به خدمة جليلة وبذل في سبيل ذلك جهوداً عظيمة . غير انه هو الآخر اقتصر على عرب الجزيرة ومهاجرها في دور العروبة الصريحة دون الذين خرجوا من الجزيرة الى هذه المهاجر قبل هذا الدور اولاً واقتصر على تاريخ العرب قبل الاسلام ثانياً ؛ واسلوبه الى هذا وذاك مطول فيه دراسات اثرية ومقارنات واستعراضات لا قوال الاثريين المتنوعة ومناقشاتهم مما لا يسوغه القارئ الذي يريد الامام انعام ، ولا يفيد إلا الباحثين حيث هو مرجع ومقتبس قيم جداً . وقد اقتبسنا منه اشياء كثيرة - ولا يغني عن كتابة تاريخ للعرب قبل الاسلام باسلوب آخر يساعد الناشئين على الامام بهذا التاريخ بيسر وشوق .

وقد جعلنا هذا وذلك نرى ان الضرورة الى كتاب مثل كتابنا ما تزال قائمة ؛ ولا سيما
لانه يهدف كما قلنا الى ابراز خصائص وآثار ونشاط وحيوية الجنس العربي في مختلف
الادوار والاقطار ومن فجر التاريخ الى اليوم في سلسلة تامة الحلقات .

واننا لنترجو ان نكون قد سدونا بهذا الكتاب فراغاً وصححتنا اخطاء واسدينا الى
امتنا العزيزة وتاريخها وناشتها ما فتننا نهدف اليه في سني حياتنا من الخدمة المخلصة .
والله ولي التوفيق .

المؤلف

دمشق الشام

ذو الحجة سنة ١٣٧٦

القسم الاول

تاريخ الجنس العربي قبل بروز الشخصية
العربية الصريحة قبل الاسلام

فصول هذا القسم اربعة

الاول : الجنس العربي في الجزيرة العربية

الثاني : » » » وادي النيل

الثالث : » » » العراق

الرابع : » » » بلاد الشام



« مذبح معيني »



خريطة جزيرة العرب كما رسمها الجغرافيون اليونانيون القدماء

الفصل الأول

الجنس العربي في الجزيرة العربية

- ١ - تمهيدات في منشأ الجنس العربي ومصادر تاريخه في الجزيرة .
- ٢ - تاريخ جنوب الجزيرة .

أ - الدولة المعينية

ب - الدولة السبئية

ت - الدولة القتبانية

ث - الدولة الحضر موتية

ج - عاد والاحقاف في القرآن

ح - دول وامارات ومدن وقبائل مهمة اخرى

خ - في العقائد الدينية في جنوب الجزيرة

- ٣ - تاريخ شمال الجزيرة .

أ - اللحيانيون

ب - الثموديون

ت - النبائيون

ث - الجرهميون او القريون

ج - مدن وملوك وقبائل اخرى في نتوش الأشوريين

ح - مدن وموانيء وقبائل اخرى في كتب اليونان والرومان

خ - الاسماعيليون ومكة والكعبة .

د - ملك العمالق وجرهم في الحجاز

ذ - كلمة وجيزة في العقائد والافكار المدنية في شمال الجزيرة

ر - تنبيهان في صدد وسبب عدم قيام دولة كبرى في شمال الجزيرة وفي صدد اللمحة

العربية وتطورها .

- ز - مراجع هذا الجزء

تمهيدات

- ١ -

منشأ الجنس العربي وقدمه في الجزيرة

اختلفت آراء الباحثين في منشأ الجنس العربي الذي سمي خطأ بالجنس السامي قبل وجوده في جزيرة العرب فمنهم ^(١) من قال ان اجداده جاؤوا من العراق ومنهم من قال انهم جاؤوا من افريقية ومنهم من قال انهم مزيج من افريقيين وسكان حوض البحر الابيض ومنهم من قال ان الجنوبيين منهم حاميون والشاليون ساميون اقتباساً من التقسيم الثوراتي ؛ ومنهم من قال . ان اليمن هي منبتهم . . .

وليس من الميسور الجزم في هذا كما انه ليس من طائل وراءه لانه يعود الى الحقبة السحيقة في القدم التي توزع خلالها البشر على وجه الأرض بتأثير العوامل المتعددة والمتنوعة والتي تعود الى عصور ما قبل التاريخ .

على انهم مهما اختلفوا فان معظمهم متفقون على ان الجزيرة العربية منذ اقدم الازمنة التاريخية المعروفة كانت مأهولة بجماعات متشابهة في الملامح والطبائع تتكلم لغة مشتركة وان تعددت لهجاتها ، وان الاقوام التي سميت خطأ بالاقوام السامية وسجلت نشاطها السياسي والاجتماعي والمدني والعمراني والعقلي والديني في الجزيرة ثم في وادي النيل وبلاد العراق والشام هم من هذه الجماعات . ففي اكناف جزيرة العرب تكونت الجماعة العربية الاولى ، ومنها ابتدأت الهجرة العربية الى اطراف تلك الجزيرة والى ما وراء هذه الأطراف في مصر وتقوم بلاد ايران ^(٢) .

وليس هناك من ينكر إمكان كون سكان هذه الجزيرة قد عاشوا عيشة مدنية وسياسية واجتماعية منذ اقدم الازمنة التي سجل الجنس البشري حياة مماثلة في بعض الاقطار الأخرى ، ويتعبّر ادق منذ زمن اقدم من الزمن الذي تشير اليه الآثار المكتشفة في ارض الجزيرة وخارجها او الاخبار والروايات الواردة في كتب اليونان والرومان واسفار العهد القديم او نقوش مصر وبابل وأشور والتي يرجع بعضها الى اربعة آلاف عام

(١) العرب قبل الاسلام لجواد علي . ج ١ ص ١٤٨ وما بعدها

(٢) الاساس في الامم السامية ولغاتنا ص ٣٥ وما بعدها . وتاريخ قبل الاسلام لجواد علي ج ١ ص ١٤٨

وما بعدها ومعارضات في تاريخ العرب للدكتور صالح احمد ومقدمة في الحضارات القديمة لطفه باقر . وتاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولنفسون وغيرها كثير .

واكثر قبل الميلاد المسيحي ؛ ولاسيما ان هذه الآثار تدل على تقدم غريسينز في مضمار الحياة السياسية والمدنية والاجتماعية والعنلية لايمكن ان يكون تم الانبيجة تطور وتدرج يرجعان الى قرون كثيرة قبل الزمن الذي نقتت او كتبت فيه . وكل ما في الأمر انه لم يكشف عن آثار اقدم كما كشف عن آثار اقدم في وادي النيل والعراق . وليس من المستبعد ان يكشف عن آثار اقدم بالنسبة لسكان الجزيرة حينما يمكن القيام بتتقيات واسعة كما امكن في مصر والعراق ؛ ولاسيما ان في مختلف أنحاء الجزيرة خرائب ومقابر وأطلالا كثيرة لم ينقب فيها تنقبا علمياً واسعاً

ومما يمكن ان يقال تأييداً لهذا ان الجماعات التي جاءت من جزيرة العرب الى وادي النيل وحووض دجلة والفرات واستقرت فيها قبل اكثر من خمسين واربعين قرناً قبل الميلاد كانت على شيء غير يسير من مظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية ووسائلها من العقول ان تكون مزودة بها من منشأها الاول . وقد جاء في كتاب تاريخ مصر قبل الفتح وبعده^(١) ان المعلوم يقيناً ان الذين نشأ منهم منا وهو أول من عرف من ملوك المملكة المصرية المتحدة قبل خمسة وثلاثين قرناً قبل المسيح^(٢) من الساميين وانهم دخلوا الى مصر ومعهم حضارة ارقى مما كان في مصر وهم الذين جاؤوا بفن التحنيط والكتابة الهيروغليفية وان هناك من يقول انهم دخلوا الى مصر من برزخ السويس ومن يقول انهم جاؤوها من طريق الجنوب . وقد قال فيليب^(٣) « ارسلت العربية الجنوبية موجات متعاقبة من البشر سلكت الطرق البرية والبحرية حتى وصلت الى المناطق التي استقرت فيها وقد حملت معها كل ما تملكه من اشياء ثمينة آلهتها وثقافتها وخطها الذي اشتقت منه سائر الاقلام وطبعت تلك الأرضين الواسعة التي حلت فيها بهذا الطابع « السامي » الذي ما زال باقياً حتى اليوم .

ولقد قال فريق من الباحثين منهم كايثاني الطلياني ان مناخ جزيرة العرب كان عرضة لتغيرات عديدة ، وانه كان فيها انهار ومياه وان هذا الجفاف الذي يسود معظم الجزيرة طارئ حديث وانه هو الذي حفز جماعات من اهلها الى النزوح عنها الى الاماكن المجاورة لها شمالاً وجنوباً . ويبدلي القائلون لتأييد رأيهم بأدلة متنوعة من جملتها ادلة جيولوجية وطبيعية حيث وجد في وديان عديدة مثل وادي الحصن ووادي السرحان ووادي الرمة ووادي الدواسر ترسبات تدل على انها كانت انهاراً جارية ؛ ويصلون الى نتيجة كون جزيرة العرب في حقبة من التاريخ كانت ذات جو معتدل وامطار غزيرة

(١) ص ٦ - ٧ (٢) اكثر الباحثين على ان مملكة مينا قامت قبل هذا الوقت بزمان طويل يتراوح بين الف وخمسة مائة عام على ما سوف نشرحه في فصل مصر . (٣) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ١ ص ١٦١

واشجار وزروع وان ما طراً عليها من تبدل قد طراً تدريجياً منذ نحو اربعة عشر الف عام^(١) . وينطوي في هذا احتمالات عمران وحضارة اقدم مما عرف يقيناً منها في جزيرة العرب وشاملين لمناطق اوسع من المناطق التي عرفت بهما فيها كما ينطوي فيه تأكيد لكون ما بدا على الجماعات النازحة الى وادي النيل والحلال الخصيب منذ الازمنة القديمة من مظاهر الحضارة والحياة الاجتماعية والسياسية هو متصل بذلك الاصل القديم .

والراجع ان سكان الجزيرة حينما جاؤوا من مهدهم الاول المجهول تاريخياً فنزلوا في جنوبها اي في منطقة اليمن لانها هي اصلح مناطق الجزيرة للمعيشة بسبب مناخها وترتها ومياهها ؛ وانهم لما تناسلوا وكثروا اخذوا يتوزعون في انحاء الجزيرة وينساح بعضهم منها الى الاقطار الشمالية ؛ وان هذا كان منذ الزمن القديم جداً لا يعرف معرفة تاريخية صحيحة ؛ وانه حينما أخذ الزمن يسجل تاريخ جزيرة العرب المدني والاجتماعي والسياسي كانت كما قلنا مأهولة بالسكان وكان منهم المستقرون في الجنوب والمستقرون في الشمال والمستقرون في الشواطئ الجنوبية والغربية والشرقية .

ولعل من الادلة التي يصح ان تساق على اصلية المنزل الجنوبي واقدميته ان الاثار والوقائع اثبتت ان مآثر الجنوب السياسية والاجتماعية والعمرانية هي الأسبق والاقدم ؛ وان الانسياح الى الخارج كان منه قبل غيره^(٢) .

- ٢ -

مصادر تاريخ العرب في الجزيرة

وجزيرة العرب قارة شاسعة تزيد مساحتها على مليونين ونصف من الكيلومترات المربعة ؛ وهي مختلفة المناخ متنوعة المظاهر الجغرافية والطبيعية ؛ فيها السواحل والصحارى والجبال . وفيها ما يكثر فيه المطر ويقل ؛ وبسبب ذلك تنوعت مآثر سكانها واساليب معيشتهم وحياتهم ؛ فكان منهم البدو المتنقلون والحضر المستقرون .

(١) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ١ ص ١٥٨ - ١٦٩ ولعل ما ظهر في بعض انحائها من حقول نفطية دليل من جهة الادلة لان النفط هو نتيجة تحلل المواد العضوية النباتية والحيوانية خلال الحقب الطويلة .
(٢) جاء في كتاب العرب قبل الاسلام لجواد علي ج ١ ص ١٦١ نقلاً عن فيلي : اوسلت العربية الجنوبية موجات متعاقبة من البشر سلكت الطرق البرية والبحرية حتى وصلت الى المناطق التي استقرت فيها . وقد حملت معها كل ما تملكه من أشياء ثمينة . حملت معها آلهتها واولها الاله القمر وثقافتها وخطها الذي اشتقت منه سائر الالام ومنه القلم الفينيقي وطبعت تلك الارض الواسعة التي حلت فيها بهذا الطابع « السامي » الذي ما يزال باقياً حتى اليوم . وهذا مستمد من الدراسات التي قام بها العلماء لاحوال جزيرة العرب ومن الحوادث التاريخية التي تشير الى هجرة القبائل من اليمن الى الشمال .

وللاخباريين والرواة والمؤرخين العرب اقوال كثيرة ومتنوعة في تاريخ سكان الجزيرة واهلها وآثرهم ، وقد اكتشفت آثار في اليمن وسيناء وسواحل الجزيرة وبلاد الشام والعراق ومصر فيها اشارات الى هذا التاريخ . وهناك اسفار العهد القديم التي يرجع تاريخها الى قرون عديدة قبل المسيح ، ومدونات يونانية ورومانية وعبرانية وسريانية ترجع كذلك الى قبيل هذا الميلاد وبعيده فيها اشياء كثيرة عن هذا التاريخ ايضاً والروايات والاخبار والمدونات والمأثورات العربية مشوبة بكثير من الخلط والغموض والتناقض والاغراب : سواء ما كان متصلاً بالانساب والاسماء والاعلام ام بالاحداث المتنوعة الأخرى ، وكثير منها بادي الانتحال والصنعة والدس بعد الاسلام لاسباب متنوعة مردها الى ما كان في صدر الاسلام من قن وتنافس وتشاد وحزازات ومفاخر قبيلية . وبعض ما يمكن ان يكون له اصل منها قد تعرض على الغالب للتحريف والتشويه والزيادة والنقص بسبب تأخر التدوين . ومن اجل هذا فانه لا يمكن ان يكون عليها معول كبير في كتابة هذا التاريخ .

واسفار العهد القديم التي تذكر أحداث القرون القديمة تتحمل هي الاخرى كثيراً من الحذر والتحفظ لانها دوت قبل الميلاد المسيحي ببضعة قرون ؛ وبين هذا الزمن وبين الاحداث المذكورة فيها مئات السنين بل ألوفها . والمبالغة في الارقام والتهويل في الاوصاف في سياق تلك الاحداث ملموسان فيها كما يلمس فيها محاولة التوفيق او التلفيق والخلط بين ما هو راهن في الافكار حين التدوين ونسبته الى القرون الاولى ، وخاصة في تسميات الأمم والمدن والأشخاص والأنساب . وكل ما يمكن ان يكون من امرها انها وثائق مهمة في الاحداث التاريخية والشؤون الراهنة في ظروف تدوينها او قبلها بقليل كما ان من المحتمل ان يكون ما يعود فيها الى عهد موسى وقبلة بقليل يرتكز الى اصل شيب بالتحريف والتشويه والزيادة والنقص .

والمدونات اليونانية والرومانية والعبرانية والسريانية وثائق مهمة حقاً في الاحداث التاريخية والشؤون الراهنة التي كانت في ظروف تدوينها . اما ما يعود منها الى القرون العديدة التي سبقت تدوينها فانه قام على السماع والروايات وشيب بكثير من الخلط والمفارقات .

بقيت الآثار المنقوشة . وهي من دون ريب وثائق مهمة وأساسية . غير ان معظم النقوش التي عثر عليها مقتضب وكثير منها نقش لغايات دينية كإخبار تقديم نذور وشكر

للآلة على مساعداتهم لاصحابها اوكدعاء بمساعدتهم ؛ وكثير منها مشوه ومبتور ايضاً .
وكثير منها مازال تحت الدرس لم تعرف محتوياته ونصوصه (١)

من اجل هذا كله فانه يوجد ثغرات وحلقات مفقودة وعقد كثيرة في تاريخ سكان
جزيرة العرب القديم وماثرهم خاصة بالنسبة لدور ما قبل العروبة الصريحة الذي نحن
الآن في صددده . وليس من مناص والحالة هذه في كتابة تاريخ العرب قبل الاسلام
في الجزيرة وخاصة فيما يتصل بدور قبل العروبة الصريحة من اخذ هذه النقائص والثغرات
والعقد بعين الاعتبار ؛ ومن السير في كتابة هذا التاريخ بتحفظ شديد اذا اريد ان يكون
سليماً علمياً قائماً على الحقائق والكلام فيه غير ملقى على عواهنه .

وعسى ان يسد كثير من هذه الثغرات في المستقبل اذا ما تيسر استجلاء ماهو تحت
الدرس من النقوش والتنقيب الواسع في مختلف انحاء الجزيرة وجرى بدأب وجد من
قبل الخبراء والعلماء العرب وغير العرب . وما كشف عنه الى الآن في مختلف انحاء
الجزيرة والمهاجر على قلته بالنسبة لما لم يكشف عنه من الخرائب والاطلال قد جلا كثيراً
من تاريخ العرب قبل الاسلام وساعد على تصحيح كثير من الاخطاء الشائعة .

وهناك اصدق واوثق مدونة عربية وصلت الينا ونعني بها القرآن الكريم مع الاحترام
لقدسيته ومن الممكن ان يقتبس من فصوله صور كثيرة عن العرب قبل الاسلام في
الجزيرة بدون ريب . غير ان معظم الصور التي يمكن اقتباسها عائد الى عصر النبي عليه
السلام او قبله باجيال معدودة اولاً والى اهل بيته النبي عليه السلام التي نزل فيها
بالدرجة الاولى ثانياً ، وليس من شأنها ان تساعد على شيء كثير بالنسبة للقرون
الطويلة الاولى .

وعلى كل حال فسوف تكون النقوش اولاً والمدونات القديمة ثانياً المعول الأكبر في
كتابة هذا الفصل مع الاستئناس بما احتواه القرآن من فصول قليلة عائدة الى ما قبل
العروبة الصريحة .

(١) بلغ عدد النقوش المكتشفة في القرن السابق نحو الفين وفي هذا القرن نحو ستة آلاف على ما
ذكره زيدان وجواد علي . وهذا العدد الاخير هو الذي اكثره تحت الدرس .

القحطانيون والعدنانيون

ولقد جرى مؤرخو العرب على تقسيم العرب وتاريخهم قبل الاسلام الى عرب بائدة وعرب عاربة وعرب مستعربة ، ثم على اعتبارهم شعبين كبيرين قحطايين وعدنانيين . وقد اوردوا اسماء عديدة لآلهم وقبائل وانساب واشخاص واعلام وتعليقات واشعار وروايات في صدد هذه التقسيمات ؛ وفيها من التداخل والتناقض والخلط والاغراب الشيء الكثير ، وليس هناك وثائق اثرية ومدونات قديمة تؤيدها ، بل لقد ظهر من بعض الآثار ما ينقض بعضها ، فهم يعدون ثمود مثلاً من العرب البائدة مع ان هناك نقوشاً تثبت وجود ثمود وما أثرهم في القرن الثامن قبل الميلاد وبعده على ما سوف نذكره بعد . وهم يوردون شعراً عربياً فصيحاً بلغة قرآنية منسوباً الى تبابعة اليمن واقبالها وغيرهم ممن يفرض وجودهم قبل نزول القرآن بمئات السنين مع ان ما عرف من لهجات ومفردات واساليب اللغة العربية قبل نزول القرآن ببضعة قرون في اليمن وغير اليمن يثبت ان اللغة القرآنية لم تصل الى ما وصلت اليه من طور الفصاحة الا قبل نزول القرآن بقرن او قرنين ، ذلك مما وردوه من شعر آدم وقابيل وهابيل واسماعيل باللغة القرآنية مما هو ادخل في باب التخريف .

ومن اجل هذا لم نرطائلاً في ايراد ما جاء في الكتب العربية عن العرب البائدة والعاربة والمستعربة وقبائلها وأحسابها وانسابها . وكل ما رأينا احتمالاً لصحته اطلاق اسم القحطانيين كأسم عام على عرب الجنوب ، والعدنانيين كأسم عام على عرب الشمال برغم ما يراه بعض الباحثين من ان هذه التسمية تدخل في نطاق ما توصف به كتابات مؤرخي العرب ورواياتهم عن ما قبل الاسلام من عدم الوثوق والتلفيق بعد الاسلام ؛ لأن انتشار هذه التسمية الانتشار الواسع المردد من عرب الجنوب والشمال معاً منذ وقت مبكر من صدر الاسلام يجعلنا نرجح انها تركز الى اصل ما قبل الاسلام ، وانها لم تبتدع اختراعاً بعده ولو لم يمكن تعيين هذا الاصل وإسناده الى سند وثيق . غير ان من الحق ان نقول ان الاسلوب العربي الفصيح للتسمية يدل على انها ليست قديمة وانها حدثت في دور بروز الشخصية العربية الصريحة قبل الاسلام^(١) وتشابه الملامح وتقارب اللهجات واشتمرار التواصل المتنوع الاساليب والظروف

(١) في تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي الجزء الاول ص ٣٠٧ وما بعدها بحث قيم في هذه اوضاع

والبواعث بين القحطانيين والعدنانيين مما تدل عليه الاحداث القديمة والمتأخرة يسوع
الجزم بأن الشعبين هما سلالة جنس واحد افترق احدهما عن الآخر بسبب الظروف
الطبيعية او الاجتماعية او هذه . ونلك معاً . وما نقله كتاب العرب من الروايات التي
تجعل العدنانيين من نسل اسماعيل بن ابراهيم العبراني غير وثيق وغير متسق مع طبائع
الأشياء .

واذا كان من الممكن ان تكون قصة سكنى اسماعيل في منطقة مكة حقيقة فان كل
ما يمكن ان يكون من نتائجها إصهار اسماعيل الى فريق من سكان هذه المنطقة ثم اندماجه
هو وذريته فيهم .

هذا ، ولقد كتب جرجي زيدان قبل نحو اربعين سنة كتاباً في تاريخ العرب قبل
الاسلام في الجزيرة وبلاد الشام والعراق والرعاة في مضر استند فيه الى النقوش العربية
القديمة والمدونات الاجنبية والعربية القديمة كذلك ؛ فكان اولى المحاولات لكتابة هذا
التاريخ كتابة سليمة وثيقة بقدر الامكان .

ومنذ ست سنين اخذ الدكتور جواد علي يصدر اجزاء كتابه القيم بنفس العنوان ،
وقد صدر منه الى الآن خمسة مجلدات . وقد جاء اوفى بكثير من كتاب زيدان ، بل
من الحق ان يقال إنه جاء على اوفى وأتم صورة ممكنة لان مؤلفه الفاضل لم يكس
يترك مصدراً من المصادر العربية والغربية الا واطلع عليه واثار اليه مقتبساً وناقداً
وشارحاً ومعارضاً . وكانت النقوش في الدرجة الاولى واقوال واستقرآت ومناقشات
وتخمينات الاثرين والمستشرقين في الدرجة الثانية معوله .

وقد جعلنا ما كتبه هذان المؤرخان وخاصة الدكتور جواد علي معلونا في ما كتبناه من
فصول موجزة في تاريخ العرب ودولهم وملوكهم ومآثرهم في الجزيرة وخارجها في
نطاق الخطة التي ترسمناها وهي الايجاز مع الوفاء بالمقصد ، حتى لقد كدنا نلخص اجزاء
كتاب الدكتور مقدرين جهوده العظيمة التي اغنت المكتبة العربية بمصدر قيم وثيق في
تاريخ العرب قبل الاسلام .

في جنوب الجزيرة

- ١ -

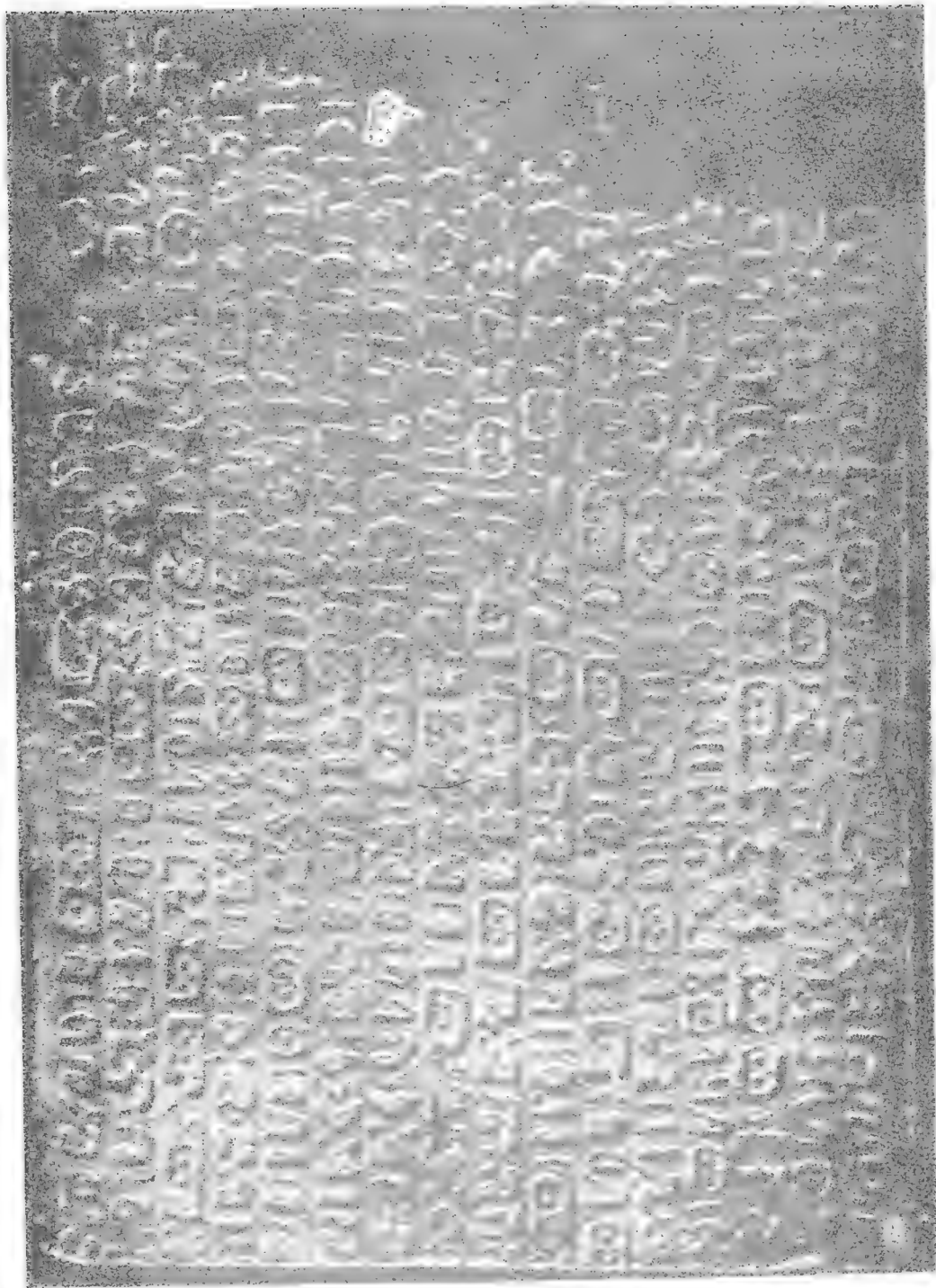
الدولة المعينية

إن أقدم الدول التي عرف بروزها في جنوب جزيرة العرب كدولة كبيرة شاملة السلطان . هي الدولة المعينية . وقد وجدت آثار منقوشة في انحاء اليمن تحمل اسمها وشيئاً من اساليب حكمها واسماء ملوكها كما وجدت نقود تحمل اسمها واسامي بعض ملوكها . وقد ذكرها استرابون اليوناني وديودور الصقلي باسمها في مدوناتهم .^(١)

وقد قدر احد المستشرقين بدء سلطان هذه الدولة الشاملة حوالي سنة ١٥٠٠ ق م كما قدر آخر منهم هذا البدء حوالي سنة ١٢٠ ق م استناداً الى دراسات اثرية .^(٢) والتقدير الاول هو الاقرب للحقيقة فيما تظن ان لم نقل . ان ذلك البدء كان اقدم منه . لان الدولة السبئية التي حلت محلها في السلطان الشامل على ما عرف من الآثار كانت موجودة وتتمتع بهذا السلطان في القرن العاشر قبل الميلاد . وقد ورد اسم سبأ في سفر حزقيال من اسفار العهد القديم بأسلوب يدل على ما كان لها من اسم ذائع وتجارة مزدهرة لا بد من انها يرجعان الى عهد اقدم من السفر الذي يقدر تدوينه في القرن الثامن قبل الميلاد؛ وحيث يدل بالتالي على ان الدولة المعينية كانت وجدت وغدت صاحبة هذا السلطان قبل ذلك بامدٍ ما . وهذا فضلاً عن انه لا بد من ان تكون مملكة معين المحلية قد وجدت قبل ان تبرز وتغدو صاحبة السلطان الشامل على مناطق كثيرة بمدة طويلة وقد لانعدو الصواب اذا قلنا والحالة هذه ان مملكة معين المحلية قد وجدت في ظرف متقدم عن النقي عام قبل المسيح ثم اخذت تقوى وتبسط سلطاتها على غيرها حتى غدت دولة كبرى خلال بضعة قرون بعد هذا الظرف .

ولقد عثر النقبابون على نقوش ونقود احتوت اسماء ستة وعشرين ملكاً من ملوك الدولة المعينية ولئن كان بعضهم يمكن ان يكون ثانوياً حكم في عهد سلطان دولة سبأ الشامل وفقاً للطريقة التي كانت تجري والتي ذكرناها آنفاً فان كثرة العدد قد تدل ايضاً على ان عهد دولة معين السابقة لعهد دولة سبأ لم يكن قصيراً.

(١) العرب قبل الاسلام لزيدان ص ١١١ (٢) العرب قبل الاسلام لجواد علي ج ١ ص ٣٨٥



» كتابة مسندية محفوظة في متحف استانبول «

ونريد ان نستدرك امراً هاماً. وهو ان ماعرف من مدنية دولة معين وآثارها وانظمتها يدل على ان ذلك ليس مرتجلاً وعلى انه لا بد من ان يكون استمراراً لجهود سابقة كان لها حظ غير يسير من المآثر العمرانية والاجتماعية والسياسية . وكل ما في الأمر ان الآثار المكتشفة والتي يصح ان يستند اليها التاريخ السليم لاتساعد على تدوين شيء حقيقي اكثر قدماً من عهد الدولة المعينية (١)

ولقد قامت الدولة المتحدة المصرية الأولى التي كان اول ملوكها « منا » قبل خمسين قرناً قبل الميلاد في رواية وخسة وثلاثين قرناً في رواية اخرى (٢) ؛ وتركت من الآثار مادل على تقدمها منذ الأسر الأولى منها تقدماً غير يسير في مختلف مجالات الحضارة الاندنية والثقافية والعمرانية والفنية والمعيشية (٣) وثبت ان الذين اقاموا هذه الدولة هم من موجات جزيرة العرب التي انساحت الى وادي النيل قبل ذلك بمئات السنين (٤) ؛ وقد قال بعض الباحثين انهم جاؤوا الى مصر ومعهم حضارة ارقى مما كان فيها وانهم هم الذين جاؤوا بفن التحنيط والكتابة الهيروغليفية . وقد قال فيلي كلاماً مقارباً على ما نقلناه قبل قليل .

ويدعم هذا ان الموجات العربية التي انساحت الى بلاد العراق والشام قبل اربعين قرناً قبل المسيح ثم قبل ثلاثين ثم قبل عشرين سجلت الاخرى كثيراً من المآثر العمرانية والسياسية والادبية منذ ذلك العهد البعيد ، وثبت تشارك الدولة المعينية في كثير من هذه المآثر على ما سوف نذكره بعد .

وهذا يسوغ القول . ان فواة هذه المآثر كانت نامية في الجزيرة العربية اوتبعير ادق في جنوبها قبل انسياح هذه الموجات فنسجت على منوالها استمراراً لما كانت عليه في البلاد التي طرأت عليها ، واتصلت حلقاتها حتى عهد الدولة المعينية ، وانه ليس من المستبعد ان يكشف فيما بعد عن حلقات منها اقدم من هذا العهد ، كما يسوغ القول ان جنوب جزيرة العرب كان مقر حضارة دينية وثقافية وعمرانية وفنية راقية نوعاً

(١) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة لطفه باقر ج ٢ ص ١٩٥ (٢) بريستيد تاريخ مصر منذ العصور القديمة ص ١٢ والكافي لشارويج ج ١ ص ١٣ - ١٤ (٣) بريستيد ص ٢٤ وما بعدها (٤) المصدر السابق ص ١٧ وما بعدها وتاريخ مصر قبل الفتح وبعده للاسكندرس وسفيد ج ١ ص ٦ والاساس في الامم واتهامات السامية لابراشي ورفناه ج ١٥ - ٣٧ والائر الجليل لسكان وادي النيل لاهمديب وتاريخ الحضارة المصرية لفوستاف لوبون وتاريخ السودان العام حسن كمان وغيرهم وغيرهم .

ما بالنسبة لذلك العهد القديم منذ اقدم الازمنة التاريخية ، وانه الذي شت منه حضارة مصر والعراق التي تعد اقدم حضارات العالم اومن اقدمها ومقتبساً لها ؛ وكفى بهذا فخر للجنس العربي صاحبها .

ولقد عرف من الآثار والمنقوشات المصرية القديمة على ما جاء في تاريخ مصر منذ اقدم العصور لبريستيد^(١) ان سحورا احد ملوك الأسرة الخامسة المصرية التي حكمت بين (٢٧٥٠ - ٢٦٢٥ ق . م حسب رواية هذا المؤلف وبين (٣٩٦١ - ٣٧١٣) حسب رواية مؤلف كتاب الكافي في تاريخ مصر^(٢) عند قدماء المصريين قد انشأ اسطولاً وسيره الى خليج عدن لطلب البخور والعطور والمعادن النفيسة ؛ وان اسطول مصري في عهد بيبي الثاني احد ملوك الاسرة السادسة المصرية التي حكمت بين (٢٦٢٥ - ٢٤٧٥ ق . م حسب رواية بريستيد^(٣) وبين ٣٧٠٣ - ٣٥٠٠ ق . م) حسب رواية الكافي^(٤) كان ينشط بين مصر وموانئ البحر الاحمر ، وان هذا الملك اصلح الطريق الى القصير على ساحل هذا البحر من ناحية مصر لتسهيل سير القوافل التجارية ولقد جاء في الكافي ان متو حنب الرابع احد ملوك الاسرة الحادية عشرة التي حكمت بين (٣٠٦٤ - ٣١٣٥) ق . م حسب رواية هذا الكتاب^(٥) بين (٣٠٦٤ - ٣١٣٥ ق . م) حسب رواية بريستيد^(٦) ارسل بعثة الى بلاد العرب لاجتثاث الصمغ ذي الرائحة الزكية وان هذه البعثة توجهت من قفط على رأس حملة الى البحر والاحمر ومنه الى جنوب جزيرة العرب ووصلت الى سبأ وواك ورهان واحضرت منها الحجارة النفيسة لتأثيل المعابد . ولقد جاء في تاريخ مصر منذ اقدم العصور بريستيد^(٧) ان امتحمت الشافي احد ملوك الاسرة الثانية عشرة التي حكمت حسب رواية هذا المؤرخ بين (٢٠٠٠ - ١٧٨٨)^(٨) ق . م وحسب رواية مؤلف الكافي^(٩) بين (٣٠٦٤ - ٢٨٥١ ق . م) اصلح الطريق الموصل بين قفط والبحر الاحمر وازداد نتيجة لذلك النشاط التجاري والملاحي بين مصر وموانئ البحر الاحمر والصومال حيث تؤيد هذه الآثار مانوهنا به قدم النشاط الحضاري والصناعي والسياسي في جنوب جزيرة العرب وذبوع صيت ما امتاز به من حجارة نفيسة وعطور وبنخور قبل بروز الدولة الميعينية كدولة شاملة كبرى باكثر من النفي عام في تقدير بعض المؤرخين والف عام في تقدير بعض المؤرخين والف عام في تقدير بعض آخر

(١) من ٨٠ - ٨٤ (٢) ج ١ من ١٩ - ٣٦ و (٣) من ٤٠٤ (٤) ج ١ من ٤٠ - ٤٣

(٥) ج ١ من ٤٦ - ٤٨ «٦» من ٤٥٥

(٧) من ١١٥ - ١٣٤ (٨) من ٤٠٥ (٩) ج ١ من ٤٩ - ٥٧

ملوك دولة معين

والآثار التي احتوت أسماء ملوك معين لم تساعد على ترتيب ولايتهم للعرش ولا تاريخها . وبسبب ذلك اختلفت تخمينات المستشرقين في ذلك وتعددت اقوالهم استناداً الى قرائن غير حاسمة (١) .

وهذه هي الاسماء التي عرفت من هذه الآثار حسبما جاءت في كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام لزيدان (٢) والتي ذكر انها مرتبة حسب تشابهها .

اب يدع - اب يدع يتع - اب يدع - يام - اليفع - اليفع - يعيس - اليفع باشر
أو ياسر - اليفع يتع - اليفع ريام - وقه ايل يشع - وقه ايل نبط - وقه ايل صديق
- وقه ايل ريام - حفن بين اب يدع - حفن بسين اب يدع ريام - حفن صديق بن
يتع كرب - حفن ريام بن اليفع ياسر - يتع ايل - يتع ايل - يتع ايل صديق - يتع
ايل ريام - خال كرب صديق - هوفعت بن اليفع ريام - معدي كرب بن يتع ايل
ريام - امر يتع بين ابو كرب - ابو كرب - يتع كرب .

وهذه قائمة مقتبسة من الجزء الاول من تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي (٣)
ومرتبة حسب التسلسل الزمني في التولية مع التنبيه على ان هذا التسلسل موضع خلاف
بين المستشرقين الذين ذكر المؤلف آراءهم وتخميناتهم فيه :

اليفع وقه - وقه ايل صديق - ابو كرب يتع - عمي يتع نبط - يتع صديق ايل -
اليفع يتع - حفن ذرح - اليفع ريم - خوف عث - اب يدع يتع - وقه ايل ريام -
حفن صديق - اليفع يفتيش - يتع ايل صديق - وقه ايل يتع - اليفع بشر - حفن ريام
- وقه ايل نبط - اب يدع ريام - خال حرب صديق - يتع ايل ريم - يتع كرب .

والتشابه بين الاسماء المنقولة عن جرجي زيدان والمنقولة عن جواد علي ظاهر وهو
طبيعي لان الباحثين درسوا نقوشاً واحدة . وكل ما في الامر انهم اختلفوا في قراءة
بعض الحروف والاسماء او في الحكم الحاسم فيها .

ويقدر المستشرقون الذين اقتبس جواد علي الاسماء من دراساتهم ان هؤلاء الملوك

(١) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ١ ص ٣٨١ (٢) ص ١١٢ (٣) ص ٣٨١ وما بعدها

ليسا من أسرة واحدة وإنما هم من أسر عديدة تولت السلطات واحدة بعد الأخرى في ظروف ما تزال مجهولة .

ونبه على ما يبدو على الأسماء من لحمة العروبة في أطوارها الأولى مثل اب وريام وبنع وباشر ونبط وصديق وكرب ويدع وايل التي هي نواة كلمة الإله أو الله وفي معناها . كذلك من الجدير بالتنبيه عليه صيغة المضارع العربية الفصحى التي صيغ بها كثير من الأسماء والألقاب المذكورة . وقد ظلت هذه الصيغة طابعاً مميزاً بنوع خاص للإعلام والأسماء اليانية إلى دور العروبة الفصحى حيث يبين هذا وذاك أطوار اللغة العربية قبل هذا الدور وصورة من صور تطورها إليه .

وقد جاء في تاريخ العرب قبل الإسلام لزيدان أن بعض الكلمات الملحقة بأسماء الملوك المعينيين التي أوردها تعني القاباً تفخيمية مثل « يثع » بمعنى المتقد و « ريام » بمعنى السامي « وديفيس » بمعنى الشهر و « ياسر » بمعنى السعيد مما يدل على أن عهودهم كانت على شيء أكثر من المعتاد شأنًا وسلطانًا ونشاطًا في حقبة تتمتع مملكة معين بالسلطان الشامل .

أما عاصمة هذه الدولة فقد كانت مدينة « قرنو = القرن » . وقد قرىء اسمها « قرنو » على بعض النقوشات المعينية في سياق يدل على أنها العاصمة ^(١) . وذكر هذا كذلك استرابون الجغرافي اليوناني الذي عاش في القرن الرابع قبل المسيح ^(٢) ؛ وكانت دولة معين وعاصمتها هذه قائمتين في زمنه وإن لم تكن الدولة صاحبة السلطان الأعلى ؛ حيث سلبت سباً منها هذا السلطان .

وقد ذكر اسم « معين » في جملة المدن اليانية القديمة ^(٣) . فالظاهر أن أميرها هو الذي برز كصاحب السلطان الأعلى فسميت الدولة الكبرى باسم إمارته ؛ وأنه حينما تمت له السيطرة اتخذ هو وخلفاؤه من بعده « قرنو » عاصمة لسبب من الأسباب .

التنقيبات في منطقة معين ودلالاتها على انتشار نفوذ معين ونشاطها

والمنطقة التي قامت فيها هذه الدولة تعرف اليوم بالجوف . وهي واقعة بين نجران وحضرموت . وقد وجد النقابون آثاراً قديمة وكثيرة فيها حتى وصفها أحد مشهورهم « هاليني » بأنها أغنى بقعة بالآثار في جزيرة العرب . وفي قسمها الجنوبي تقع خرائب

(١) العرب قبل الإسلام جواد علي جزء ٣ ص ٣٩٠ (٢) العرب قبل الإسلام زيدان ص ١١١

(٣) جواد علي ص ٣٨٤ (٤) جواد علي ص ٣٨٤

مدينة مين ، وعلى مقربة منها آثار صابند وبيان واسلال كثيرة ولا سيما في جهة الشرق . وقد بلغ عدد الكتابات الميمنية التي شر عليها حوالي مائة واستخدمتها زهاء (٧٠٠) ومعظمها قصيرة ، و ٥٠ - ٦٠ كتابة منها تتألف من بضعة أسطر . (١) وفضلا عما اكتشف من النقوش والآثار الميمنية في هذه المنطقة فقد اكتشفت آثار ونقوش ميمنية كثيرة على شواطئ البحر الأبيض والخليج العربي - الفارسي (٢) ولي أعالي الجباز وروادي القرن ومشارف الشام ومنطقة صان والعقبة وبعض أنحاء العراق ومصر واستدل الباحثون بها على ان هذه الدولة كانت تقي بالتمركز التجارية صاية كبيرة ، وان كان لها مركز تجاري وسياسي مهم في المكان المسمى اليوم « ميان » في شرق الاردن وان الأمم عتقت من اسمها ؛ وان المملكة الميمنية التي كانت في تلكا في أعالي الجباز كانت منافسة لسيطرتها . ومكان هذه قرية من خليج العقبة على البحر الأحمر وهي نقطة التقاء بين الشام والعرب . والمتبادر ان المينيين جاؤوا الى هذه المنطقة عن طريق هذا البحر فأشأوا مركز ميان ليكون لهم نقطة ارتكاز حيث توسعوا منه الى الجنوب حتى وصلوا الى أعالي الجباز وإلى الغرب والشمال حتى وصلوا الى بلاد الشام وشواطئ البحر الأبيض (٣) .

ومما عرف من الآثار المكتشفة انه في خلال الفترة التي انقضت بين آخر ايام الدولة الميمنية كدولة كبرى وبين خضوعها للدولة سبأ واندماجها فيها ظهر حكومات صغيرة يمكن ان تشبه بحكومات المدين التي انتهزت فرصة ضعف ملوك مين فاستقلت في شؤونها ثم اندمجت في دولة سبأ ومنها حكومات الحرم وتشف وكنته .

وقد عرف من ملوك نشان التي تعرف اليوم باسم القرية السوداء ملك اسمه « ميان »

(١) جواد علي ص ٣٨٤

(٢) أن الكتاب العرب ان يعدلوا عن متابعة كتاب الغرب ويظنوا يصفون هذا الخليج بالخليج الفارسي فقط وليست شواطئ الفرس عليه أطول من شواطئ العرب

(٣) يقول طه باقر في الجزء الثاني من كتابه مقدمة في الحضارات القديمة ص ٢٠١ ان ميان التي ذكرت في الكتب القديمة بصيغة ميان هي في المنتهى الجنوبي الشرقي لجزيرة العرب وانه لا ينبغي الخطئ بينها وبين ميان شرق الاردن . ونقول انه ليس هناك ما يمنع ان يكون في المنتهى الجنوبي الشرقي منطقة اوبلاد كانت تسمى ميان . ولكن الآثار التي دلت على ان المينيين كانوا يسكنون مناطقهم على أعالي الجباز التي كانت ميان والعقبة طريقهم اليها تدل على ان ميان هي معينية الاصل والتسمية ايضا . انظر تاريخ العرب الطول لحي ج ١ ص ٧٠

ينع « كما عرف من ملوك الهرم او الحرم الواقعة بين كمنه وقرنو ملك اسمه « يذمر » وآخر اسمه عثتر وهو ابن الاول ؛ وعرف من ملوك كمنه ملك اسمه « نبط علي » وآخر اسمه « السمع نبط » وهو ابنه (١)

وانتهزت مقاطعة لحيان في شمال الحجاز التي مر ذكرها فرصة ضعف مملكة معين فاستقلت هي الأخرى عن نفوذ المملكة المعينية ايضاً (٢) . وفي هذه الفترة نشأت دولة الانباط في منطقة معان واخذت تسلطها الى الجنوب والشمال على ما سوف نذكره بعد . فالتبادر ان الذين انشأوها قد استغلوا فرصة ضعف سلطان هذه الدولة في هذه المنطقة الشامية الحجازية نتيجة لضعفه في بيئته الأصلية .

وتشير النقوش التي عثر عليها في الجزيرة وقصر البنات في القطر المصري الى الصلات التجارية التي كانت تربط مصر باليمن والمعنيين ، ويستدل منها على انه كان في مصر في القرن الثالث قبل الميلاد جالية معينة . وان المعنيين كانوا يتاجرون مع مصر بالبخور لاجل معابدها (٣) .

والنقوش التي وجدت في العلا تدل على ان هذه المنطقة كانت مأهولة بالمعنيين وان اسم مدينة او مركز الحكومة المعينية هنا هو « دادان » وان حكامها كانوا من اهل المنطقة ، وانهم كانوا بمثابة نواب عن ملك معين ويلقبون بلقب كبير اي كبير (٤) او رئيس .

- ٣ -

نظام الحكم في دولة معين

ومما عرف من نظام الحكم في هذه الدولة ان الملك كان ينتقل بالوراثة وان الاب والابن احياناً كانا يتوليان معاً ، وان ملوكها كانوا يتلقبون في بدء عهدهم بلقب يتضمن معنى الرعامة الدينية وهو « مزواد » حيث كان تعبير ، مزواد معين « يعني ملك معين وكاهنها (٥) وان اللامركزية هي التي كانت سائدة حيث كان في كل مدينة او منطقة حكومة محلية لها آلهتها التي تتسمى باسمها ولها هيئاتها الدينية التي كانت تسمى « عم » ؛

(١) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٢ ص ١٣٤ - ١٣٥ (٢) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ١ ص ٣٩٦ (٣) نفس المصدر ص ٣٩٧ (٤) نفس المصدر ص ٣٩٨ (٥) زيدان ص ١١٢

وحيث كان يقوم على المقاطعات ممثل للملك يلعب بلعب « كبر » يشرف على الشؤون العليا المتصلة بالدولة . ومما عرف كذلك ان الضرائب كانت ثلاثة انواع منها ما يعود الى خزانة الدولة ومنها ما يعود الى المعابد ومنها ما يعود الى الحكام المحليين الذين يقدمون من حصتهم نصيباً خاصاً للملك ويتصرفون بالباقي في الاعمال والمنشآت العامة في مقاطعاتهم . ومن ضرائب المعابد ما هو اختياري ويدعى اكرب (١) وإجباري ويدعى فرع وعشر . اما النذور التي كانت تنذر اختيارياً فانها كانت تصبح ديناً واجب الاداء اذا ما تحقق المطلب الذي نذر الناذر نذره من اجله ؛ ومما كان يجري ان الملك قد يفوض الى شيخ او زعيم ما استغلال مقاطعة مقابل شروط تدون في عقود وتحدد تحديداً دقيقاً .

ومما عرف من نظام الحكم ايضاً في هذه الدولة انه كان لها مجلس شيوخ يسمى « مسود » يتألف من زعماء وكبراء الدولة للمداولة في الشؤون السياسية والمالية والتشريعية . وقد استدلل على هذا من كتابة طويلة نوعاً ما عثر عليها مصدرها مدينة معين وتحمل اسم الملك اب يدع يثح . وقد دونت هذه الكتابة بمناسبة قيام جماعة من اشراف مدينة قرفو بترميم خنادق هذه المدينة واصلاح اسوارها وانشاء محلة جديدة فيها . وصاحب هذه الكتابة هو « علمن بن عم كرب » من اسرة ذي حذا ، ورئيس حبان ومواد - اي صديق - ملك معين . وجاء في الكتابة انه قام بهذا العمل تقرّباً الى آلهة معين عثر ذو قبض - اي معين عثر في مدينة قبض - وود ونكرح والى ملك معين ؛ وان اولاده بؤس ايل ويذكر ايل وسعد ايل ووهب ايل ويسمع ايل - الاسم الآخر نواة اسماعيل على الارجح - ساعدوه فيه ؛ وانه ادى جزءاً من اكلائه من ماله الخاص وسدد الباقي من الهبات التي كانت تقدم للآلهة والضرائب التي تجبها المعابد ، وان ملك معين ومسود معين - مجلس معين - قد فوضاه بذلك . وقد جاء في النقش ان علمن ذبح القرابين للآلهة بعد انتهائه من العمل ، وانه طلب منها حماية هذه المنشآت وطلب من الناس المحافظة عليها ودعا بالشر على من يعتدي عليها .

والكتابة تدل في ذات الوقت على اساليب الأعمال في هذه الدولة كما هو ظاهر (٢) . ومن هذا القبيل كتابة اخرى ترجمتها « جعل آل دبر وقفهم ونقوشهم في حماية عثر

(١) جواد علي ج ١ ص ٤٠٥ - ٤٠٧ ، ويظن الباحثون ان اكرب اصل كلمة اقرب التي يرجع اليها اشتقاق القرين والتقريب (٢) جواد علي ج ١ ص ٣٨٨ - ٣٨٩

شرقان وعثر قبض وود ونكرح وعثر بهريق وجميع آلهة معين ويثل وجميع آلهة سبأ وملوك سبأ وشعب سبأ . جعلوها في حمايتهم لمقاومة كل من يغريه او يبيده او يخزيه من مكانه في الحرب والسلم ما دامت الأرض (١) » ويظهر من العبارة ان المكان مقبرة او معبد ، كما يظهر ان معيناً كانت في وقت كتابتها خاضعة لسلطان ملوك سبأ مع احتفاظها بكيانها (٢)

- ٥ -

صلة معين بحضرموت

ومما عرف من تاريخ هذه الدولة انه كانت قرابة رحم بين ملوكها وملوك حضرموت ، وأن رؤساء المقاطعات التابعة لها كانوا يتلقبون بلقب الملك حيث عثر في خرائب قرونو على كتابة ترجمتها « ان معدي كرب ملك حضرموت وقف حصن خرف للآله عثر قبض الذي بناه خاله شهر علق بن صدق ايل ملك حضرموت تقرباً للآلهة عثر قبض وعثر شرقان وود ونكرح ولابن اخيه بدع يثع ملك معين ولشعبه وشعب معين (٣) » وقد وجدت في قرونو كتابة يستفاد منها ان مملكة قتيان فرضت سلطانها على مملكة معين في ظرف من الظروف وظلت هذه المملكة مع ذلك قائمة (٤)

- ٦ -

ومن الحق ان تنوه بمظهر مدني هام من مظاهر مدنية العهد المعيني الذي هو اقدم عهد معروف شامل السلطان لدولة عربية في الجزيرة ، وهو ما كان للقراءة والكتابة فيه من حظ غير يسير . فقد اكتشفت كما قلنا نقوش معينة كثيرة منها ما يمكن ان يكون من آثار القرن الخامس عشر قبل الميلاد المسيحي ؛ وهي التي ساعدة على معرفة ما عرف من

(١) جواد علي ص ٣٩٣ (٢) هذا هو نص الكتابة باللغة المينية : « ورثد اهل دبر مل اسم واسطر سم عثر شرقن وعثر ذو قبض وود ونكرح وعثر ذو بهريق وكل الات معن ويثل وكل الات وشيم هي واملك وشعب سبأ وجو بن كل ذو يسنكر سم وسناي وختيل بن مقسمهم بضم ومسلم يمت ارضم » ومن المحتمل ان تكون الكتابة دوت في القرن التاسع قبل المسيح اي بعد تأخر دولة معين وبروز سبأ عليها . والعبارة طور من اطوار اللغة العربية في اليمن في هذا الظرف . وقد احتوت كلمات عديدة بينها وبين الكلمات العربية الفصحى بعض التشابه وان كانت في جملتها وانشائها بعيدة عن الفصحى بدءاً كبيراً .

(٣) تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ١ ص ٣٩٢ (٢) نفس المصدر ص ٣٩٠

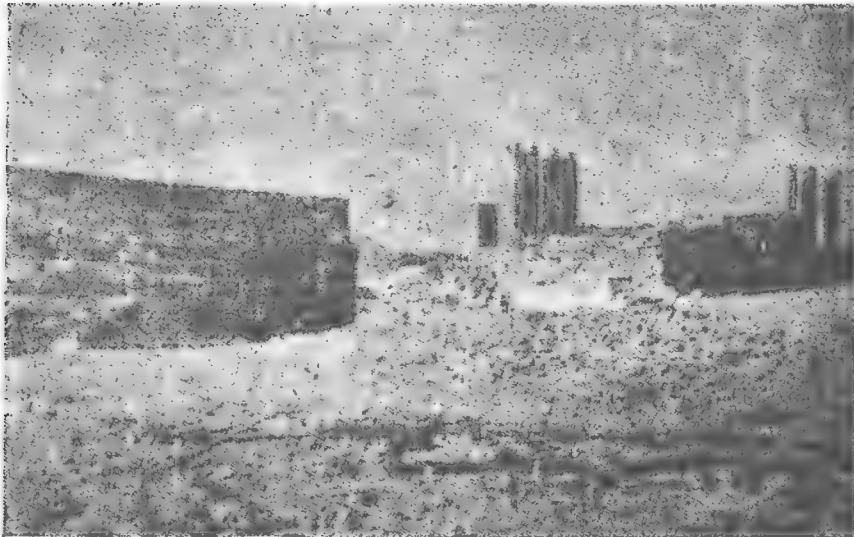
تاريخ هذه الدولة ومآثرها . ومن المعقول ان يكون بدء الكتابة والقراءة سابقاً لما اكتشف من نقوش معينة بمدة غير قصيرة ، ومن المحتمل ان يكون هناك نقوش اخرى ما زالت تحت الارض تدل على ذلك ، بل اذا اخذنا بقول مؤلفي كتاب مصر قبل الفتح وبعده الذي اشرنا اليه آنفاً وهو ان الذين طرأوا على مصر من جزيرة العرب جاؤوا بفن التحنيط والكتابة الهيرغليفية ، وليس هناك ما ينقض ذلك، صبح ان نقول ان اساس الكتابة والقراءة في العالم يرجع الى اليمن والى عهد عريق في القدم ، وان الخط الذي كتبت به النقوش المعينية التي عثر عليها قد كان تطوراً عنه خلال عشرات القرون قبلها . وفي هذا ما فيه من خصيصة هامة من خصائص الجنس العربي ومظهر من مظاهر مدنيته الضاربة في اعماق القدم .

وخط النقوش المعينية يقوم على اساس الخطوط المتعامدة او المتساندة . ولهذا سمي منذ القديم بالخط المسند . وكان لكل حرف علامة خاصة . وكانت الابجدية تتألف من تسعة وعشرين حرفاً . والكتابة تبدأ من اليمين الى الشمال . وقد استمر هذا الخط مستعملاً في الدولة السبئية ثم فن الدولة الحميرية بعدها ، بل كان هو الخط الرئيسي في معظم انحاء جزيرة العرب قبل الاسلام (١) . وقد قرر بعض الباحثين انه من المحتمل ان يكون اقدم من الخطوط الفينيقية الكنعانية وان يكون اصلاً لها (٢) .

ولقد اكتشفت كما قلنا كتابات كثيرة بهذا الخط في انحاء غير اليمن من جزيرة العرب ثم في بعض انحاء العراق والشام ومصر بل وجد بعضها في احدى الجزر اليونانية (٣) . وقد قال بعض الباحثين ان انتشار هذا الخط هذا الانتشار الواسع كان إما بطريق الاقتباس او بسبب انتشار نفوذ الدولة المعينية واتساع نطاق تجارتها (٤)



خزان لحزن مياه الامطار والسيول مدرج
وراء جبل حصور بني شعيب



« بقايا معبد من معابد مدينة صروح »

الدولة السبئية

- ١ -

نشوؤها

إن الدولة السبئية كدولة كبرى قامت على انقراض الدولة المعينية على ما دلت عليه الآثار .

وانتسمية نسبة الى سبأ . وقد ذكرت سبأ في اسفار العهد القديم في مناسبات عديدة ذكرت كاسم لأحد ابناء عابر بن يقطان كما ذكرت كاسم لابن كوش بن حام (١) وذكرت في سياق خبر زيارة ملكة سبأ لسليمان الذي كان ملك فلسطين في القرن العاشر قبل الميلاد (٢) ، وذكرت في سياق التنويه بتجاريتها وصلاتها التجارية مع مملكة صور الفينيقية التي كانت مزدهرة في القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد (٣) . ومعنى ذلك ان وجود سبأ والسبئيين وامراء سبأ يعود الى تاريخ وجود الدولة المعينية .

ولقد عثر على كتابات سبئية كثيرة سجلت احداثاً متنوعة حرية وغمرانية ودينية وسياسية تساعد على تدوين حقائق غير يسيرة عن تاريخ هذه الدولة ومآثرها .

ولقد جاء في بعض النقوش ان السبئيين افنوا المعينيين . والغالب ان العبارة تعني انهم انخسوا فيهم وغلبوهم على السلطان ، لان المعينيين ظلوا يذكرون الى اواسط القرن الثاني قبل الميلاد والسبئيين في إبان سلطنتهم ، بل إن مملكة معينية ظلت قائمة في عهدهم حيث ذكرت بعض المدونات اليونانية والنقوش المكتشفة ما يدل على وجود مملكة معينية وملوك معينيين في القرن السابع والسادس والخامس والرابع والثالث قبل الميلاد (٤) . والظاهر ان السبئيين غلبوهم على السلطان العام وابتقوهم امراء او ملوكاً خاضعين لهم على الطريقة التي كانت جارية .

وقد كان ملوك مملكة سبأ ثانويين يتلقبون بلقب « ذو صرواح » اي صاحب اوامر او ملك صرواح في عهد الدولة المعينية قبل ان يغلبوا ملوك معين على السلطان الشامل

(١) سفر التكوين (٢) سفر الملوك الاول الاصحاح ١٠ (٣) سفر حزقيال الاصحاح ٢٧

(٤) جواد علي ج ٢ ص ١٥١ وما بعد

على ما يستفاد من الآثار . وصرواح مدينة بسين صنعاء ومأرب . وهي الآن أطلال
تشاهد فيها بقايا عمران قديم واعمدة عليها نقوش بخط المسند . ومن جملتها آثار قصر
يطلقون عليه قصر بلقيس وقرىء عليه نقش « محرم بلقيس » كما ان من جملتها آثار معبد
للالة المقه الذي يعني القمر والذي كان كبير آلهة السبئيين .

ويرجح ان عبارة محرم بلقيس متأخرة وأن كلمة بلقيس متطورة عن كلمة المقسه
حيث تطورت هذه الكلمة الى بلقمه ثم الى بلقيس وان الاثر الذي نقشت عليه العبارة
تابع لمعبد المقه الكبير في صرواح (١) .

- ٢ -

ويستفاد من الآثار ان المملكة السبئية تطورت في اطوار عديدة بعد ان غدت صاحبة
السلطان الشامل من حيث تسمية ملوكها وأسر هؤلاء الملوك . فقد تلقبوا بلقب مكرب
ثم بلقب ملك سبأ ثم بلقب ملك سبأ وذو ريدان .

ودور لقب « مكرب » يمتد من القرن الثامن الى القرن السادس قبل الميلاد . ودور
لقب ملك سبأ يمتد الى القرن الثاني ودور لقب ملك سبأ وذو ريدان من الثاني قبل الميلاد
الى الثالث بعده .

ويظن ان لقب مكرب يتضمن معنى الزعامة الدينية مثل لقب مزواد بالنسبة للملوك
معين ؛ والكلمة تعني واسطة القربى الى الاله وهذا يعني رئيس الدين او الكاهن كما هو
المتبادر . وكرب وقرب بمعنى واحد او متقارب في اللغة الفصحى التي كانت اللهجات
القديمة نواة لها .

مكارب سبأ وحالة الدولة في عهدهم

وقد اختلف الاثريون في اسماء وتسلسل المكارب بعض الشيء بسبب الثغرات
والتكرار والغموض في النقوش واضطرابهم الى التخمين والحدس . وهذه قائمة فيهم
وضعها فيلي اقتباساً من النقوش والنقود السبئية :

سمه على - يدع ايل ذرح بن سمه على - يثع امر وتر بن يدع ايل - يدع بسين بن

(١) المصدر السابق

يضع - يضع امر وتر بن سمة على - كرب ايل بين بين يضع امر - دمر هلي وتر - سمة على
نيف بن دمر - يضع امر بين بن سمة - كرب ايل وتر بن دمر على .

وقد قدر قبلي عهد المكارب المذكورين بين ٨٢٠ ق م الى ٦٢٠ ق م (١)

وهذه قائمة اخرى فيهم من وضع الاثري هومل :

سمة على - يدع ايل ذرح - يضع امر وتر - يدع ايل بين - يضع امر - كرب ايل
بين - سمة على نيف .

وهؤلاء في نظر هذا الاثري هم : جمرة اولى وهناك جمهرة ثانية تتألف من المكارب
التالية اسماؤهم :

دمر على - سمة على نيف - يضع امر بين - دمر على - كرب ايل وتر (٢) .

اما تقرير سلطان سبأ الشامل في دور المكارب بحوالي ٨٢٠ ق م فيبدو فيه شيء من
التأخر . فقد ذكرت سبأ في سفر حزقيل ووصفت بالازدهار التجاري في ظروف ازدهار
مملكة صور حوالي القرن التاسع ق م . والمعقول ان يكون بدء هذا الازدهار في مدة
سابقة بامد غير قصير . واذا كان سفر حزقيل لم يدون في هذا الظرف فانه دون على
الاقل بعده بقليل ، ولا بد من ان ما جاء فيه مستند الى وثائق وشواهد متواترة وقائمة .
ويشاهد ما جاء في هذا السفر عن سبأ « تجار شبا ورعهم هم تجارك . بافخر انواع الطيب
ويككل حجر كريم والذهب اقاموا اسواقك . » وقد ذكرت سبأ كذلك في سفر الملوك
الاول في سياق ذكر زيارة ملكة سبأ لسليمان الذي كان حكمه في القرن العاشر قبل الميلاد .
والكلام عن الزيارة جاء بأسلوب يدل على ان مملكة سبأ كانت على حظ عظيم من الثروة
والخضارة حيث ذكرت بهذه العبارة « وسمعت ملكة سبأ بنجر سليمان لمجد الرب فأتت
متحنة بمسائل وأتت الى اورشليم بموكب عظيم جداً . بنجال حاملة اطياباً وذهباً كثيراً
جداً وحجارة كريمة . » ونحن نعرف ان بعض الباحثين يشكون في صحة وقوع هذه
الزيارة او على الاقل في صحة نسبة هذه الملكة الى الدولة السبئية اليمنية وينكرها بعضهم
ويقول آخرون انها ملكة جالية سبئية كانت تقيم في طرف من اطراف الجزيرة الشمالية .
ومما يستند اليه المنكرون انه لم يرد في النقوش رسم ملكة ملكت هذه المملكة . وليس هذا
سبباً كافياً للانكار . فوجود مملكة سبئية يمنية في القرن التاسع قبل الميلاد امر يقيني .
وليس هناك ما ينفي وجودها في القرن العاشر بل وقبله . والاتصال بين مملكة سبأ اليمنية

(١) جواد علي ج ٢ ص ١٥٦ وما بعد (٢) جواد علي ج ٢ ص ١٤٧ وما بعد



نقود من الفضة من عهد ملوك سبأ وذي ريدان

وبين فلسطين مركز سليمان قائم ميسر عن طريق العقبة ؛ وكان شرق الاردن الى العقبة في نطاق سلطان سليمان ؛ وكان له على خليج العقبة ثغور منها ثغر ايلات : وكان له اساطيل تجارية تمخر في البحر الاحمر . وقد وصف كتاب اليونان طيوب اليمن وذهبها وحجارتها الكريمة بما يطابق ما جاء في السفر من وصف موكب سبأ وهدايا الملكة . وسفر حزقيال يذكر سبأ بما اشتهرت به من الطيب والذهب والحجارة الكريمة ايضاً . واذا لم يكن قد عثر على اسم ملكة لسبأ فلا يعني هذا انه لم يعتل عرش المملكة ملكة . ولا يبعد ان تكون الزائرة زوجة الملك . وقول القائلين ان الملكة التي زارت سليمان هي ملكة جالية سبئية في اطراف الجزيرة برغم غرابته يعني انه كان هناك شعب سبئي معروف تزحت منه جاليات واستقرت في اطراف الجزيرة ، وفي هذا دلالة على ان دولة سبئية يمنية كانت قائمة في عهد سليمان بل وقبله ايضاً ...

وفي القرآن اشارة الى ملكة سبأ وصلاتها بسليمان . والوصف الذي ذكرت به يدل على ان الملكة كانت ذات قوة وثروة وانه كان لها مجلس تستشير به في الأمور المهمة كما يتضمن انها كانت تعبد الشمس وكل هذه الاوصاف تنطبق على ملكة سبأ اليمنية في القرن العاشر . ولئن كان قصص القرآن يرد في القرآن في معرض العظة والانذار فانه مما كان غير مجهول من السامعين وفي هذا ينطوي كون هذه الاوصاف مما كان يتناقله العرب جيلاً بعد جيل عن سبأ وعهدها .

والعرب يسمون الملكة باسم بلقيس ولكن القرآن لا يسميها . ولا يبعد ان يكون الاسم قد جاء الى العرب ومدوناتهم من نقش « محرم بلقيس » الذي قرئ على بعض آثار صرواح على ما ذكرناه قبل .

- ٣ -

نظام الحكم في عهد المكارب (١)

والمكارب كما يبدو من القائمة الاولى من أسرة واحدة . وهي تنتمي الى عشيرة اسمها نيشان كانت صاحبة الملك او الامارة في صرواح على ما يستفاد من الكتابات الأثرية . وقد انشأ المكارب الاولون بعد اتساع سلطانهم مدينة مأرب وانتقلوا اليها من

(١) مرجع محتوى هذه الفقرة العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٢ ص ١٠٠ - ١٥٤

صرواح التي ظلت مقام امارة فيشانية . ولا يعرف على وجه التحقيق متى تم هذا وان كان يضمن انه وقع في مدة غير بعيدة من ظفر امراء صرواح بالسيادة الشاملة حيث عثر على كتابات من عهد المكرب يثع امر بين تسجل تجديد ابواب المدينة ، حيث يعني هذا ان مأرب كانت قائمة قبل عهد هذا الملك الذي كان في اواسط القرن الثامن ق م .

ويستفاد من النقوش ان نظام الحكم في عهد المكارب كان على اساس الاقطاع ايضاً بحيث كان في المناطق والمدن والقبائل زعماء يمارسون السلطان المحلي تحت سيادة المكرب يسمون « قول » او « كبر » فيجبون الضرائب ويدفعون لخزينة الدولة حصتها وتخزينه المعبد حصته ويقدمون ما يفرض على المنطقة من الجند ، وكان لكل مجتمع مجلس او ندوة شيوخ تسمى « عهرو » مقابل مسود أو مزود في النظام المعيني يجمع فيها شيوخ المجتمع وزعماء اسره للمداولة في الشؤون العامة ، وكان في العاصمة الى جانب المكرب مجلس اعلى للمداولة في شؤون الدولة ، وكان بين المناطق والمشيخات الاقطاعية تعاون اقتصادي .

وقد عثر على نقوش تدل محتوياتها على شدة عناية المكارب بالسدود وتنظيم الري . وهم الذين انشأوا سد مأرب العظيم المجاور للعاصمة والمسمى باسمها والذي لا تزال آثاره قائمة تشهد على عظمة هذه الدولة وبراعة مهندسيها . وقد جاء في كتابة « ان المكرب ذمر على وتر امر بتوسيع مدينة نشقم واصلاح الارضين المحيطة بها وتحسين نظام ريها » وهذه المدينة من المدن المعينية المهمة ضمها مكارب السبئيين الى حكمهم المباشر . وعثر على كتابة من عهد المكرب سمه على نيف تذكر تعميره لسد « رحجم » للسيطرة على مياه الامطار والاستفادة من السيول . ومما جاء في الكتابة ان المكرب ثقب الحجر وفتح ثغرة فيه لمرور المياه منها الى سد رحجم ليسيل الى منطقة يسرن . وعثر على كتابة من عهد المكرب يثع امر بين تذكر ادخال تحسينات كبيرة على سد مأرب وانشاء فروع جديدة له وتوسيع رقعة ارض مأرب الزراعية واثماء ثروتها بذلك ، وتذكر كذلك انشاء سد خبيص او توسيعه وانشاء سد مقرون وايصال مياهه الى ايبين وانشاء سد يثعن وايصال مياهه الى ايبين وانشاء سد سهنيت وكهلم الواقع مقابل طرفل .

وهذه المشروعات الاروائية لم تكن مشروعات اروائية عادية بل كانت مشروعات هندسية بارعة يصح ان توصف بانها من اهم المشروعات العالمية في حينها بل يصح ان توصف بانها ثورة في عالم الهندسة والفكر ندر ان قام بمثلها مملكة اخرى كما قال جواد علي في الجزء الثاني من كتابه (ص ١٣٠)

وقد كانت مصدر خير ورفاه لئلمن قروناً عديدة . وليست طرافتها لأنها تنظم إروائي فقط بل لأنها تتضمن فكرة ابداعية بمنجز مياه الامطار والسدود في خزانات صناعية كبيرة وتنظيم الري منها . ولقد حول سد رحيم منطقة اذنه التي ربما كانت كلمة « عدن » متطورة منها الى جنات ترى آثارها الى الآن وتعد من مفاخر الجنس العربي بل الجنس الانساني في التاريخ القديم . وقد ظلت اخبار وآثار هذه الجنات وما تمتع به اهل سبأ من رفاه وما انتشر فيها من عمران نتيجة لهذه المشروعات العظيمة تروى الى عهد النبي فذكرها القرآن في معرض العظة والانذار في آيات السورة التي انعقدت على سبأ كما ترى فيما يلي:

« لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فاعرضوا فارسنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خبط وأثل وشيء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور . وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي واباماً آمنين (١) . فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وظلموا انفسهم وجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق . إن في ذلك لآية لكل صبار شكور »

ويستفاد من نقش خلفه سنحاريب الأشوري الذي حكم في القرن الثامن (٢) ان الصلات بين المملكة السبئية وبين المملكة الاشورية التي كانت اعظم ممالك الشرق الاوسط حينئذ كانت ودية حيث ذكر النقش ان سنحاريب تسلم هدايا من كرب ايل ملك سبأ بمناسبة بنائه معبد بيت اكيكو للاحتفال فيه بعيد رأس السنة والاعياد الأخرى وانه كان من جملة الهدايا احجار كريمة وافخر انواع الطيوب ذات الرائحة الطيبة وفضة وذهب واحجار ثمينة أخرى مما يتطابق مع الاوصاف التي اشتهرت عن هذا القسم من الجزيرة العربية .

- ٤ -

عهد المكرب يثع امر (٣)

وقد سجلت الكتابات عن عهد المكرب يثع امر ما يستدل منه على انه كان أعظم

(١) في العبارة دلالة على ما سكان من كثرة المدن والقرى واتساع العمران

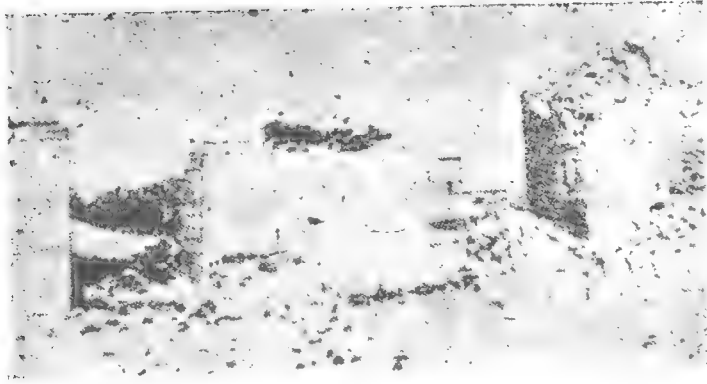
(٢) جواد علي تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٢ ص ١٢٥

(٣) مرجع محتوى هذه الفقرة المصدر نفسه ص ١٠٠ - ١٥٤

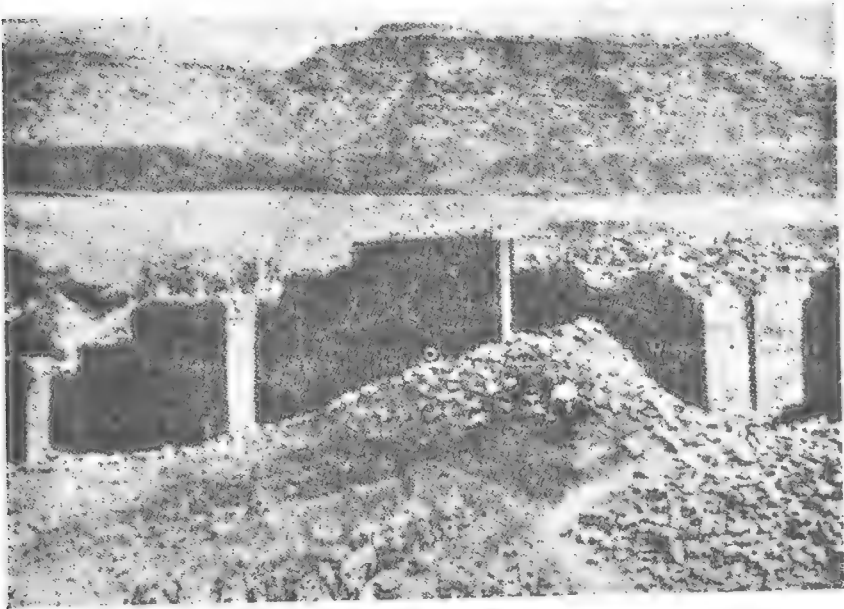
المكارب بسعة سلطان ونشاط عمران وقوة حربية .

ويستفاد منها انه عني عناية كبيرة بتوسيع وتحسين مدينة مأرب فانشأ فيها بنايات عديدة وحصنها بابرار قوية واقام لها بابين كبيرين جديدين ، وانه انشأ معابد عديدة في اما كن مختلفة من مملكته ، ووسع سيطرته حتى شملت معظم مملكتي معين وقتبان .

واحتوت الكتابات تفصيلات متنوعة لحروبه ونتائجها . وقد جاء فيها فيما جاء انه هاجم القتبانيين وقتل منهم زهاء ٤٠٠٠ في عهد ملكهم سمه وتر ثم هاجم المعينيين وانتصر عليهم واخضع القبائل والمدن التي لم تكن قد خضعت لسلطانه الى ارض نجران ، ووقع بمهامرم - التي يظن انها امارة اقطاعية كبيرة - خسائر عظيمة حيث قتل من اهلها في المعارك التي وقعت قرب نجران زهاء (٤٥) ألفاً واسر (٦٣) ألفاً وغنم (٣١) ألف رأس ماشية واحرق ودمر عدداً من قراها ومدنها ومن جملتها مدينة رجعت عاصمة ملكها لعذر ايل والمدن الواقعة بينها وبين نجران . وما ذكر في الكتابات ان بعض امارات وملوك المقاطعات والممالك التي كانت خاضعة لمملكة معين ودخلت تحت سلطان الدولة السبئية حاولوا التمرد على هذا السلطان في عهد هذا المكرب فسارع الى التمكنيل بهم . وقد زحف اولاً على مملكة اوسان وقهر ملكها مرتوم وقتل من جيشه (٢١٥٠٠) وأسر (٥٤٠٠٠) وفي الكتابات الاوسانية المنقوشة على جدران قصر الملك التي تذكر ما كان في ظرف سابق من انتصار الاوسانيين على السبئيين ونقش مكانها نقوشاً تقص اخبار انتصاره عليهم ، وامر بضم سروم وتوابعها وجمدان وتوابعها الى مملكته ، ثم اوقع بمدينتي دهس وتبني اللتين كانتا حليفين لاوسان قتلاً والسراً وتحريقاً واعلن ضمهما الى مملكته . وجاء في احدى كتاباته ان سما ورشاي والاراضي الممتدة من حيرون الى فسد وعرمو وكذلك جميع المدن والنواحي التابعة لكحد وسين ومدن اثبج وسبع ورعم وجميع منطقة عبادان وجميع اهل عبادان الاحرار والارقاء ومدن وثينه وميسرم وتبرم وحرثو وكل ارض تبرم حتى البحر وجم وسكانها وكل المدن من نفص الى دهس والسواحل ومناطق ايل وسلعن وعيث ونبت ومدنها ومزارعها وجميع ما يملكه مرتوم ملك اوسان في دهس وتبني ويخيم وجميع سكان هذه المناطق من احرار وعبيد وكبار وصغار كل ذلك قد غدا ملكاً خاصاً لسبأ وآلهة سبأ . » ثم زحف بعد تنكيله الشديد باوسان على مناطق سبل وهرم وقفن لمعارضتها له فقتل ٣٠٠٠ وأسر ٥٠٠٠ وغنم ١٥٠٠٠٠ رأس ماشية ، وعلى مدينتي امرم ومهامرم فقتل ٥٠٠٠ واسر ١٢٠٠٠ طفلاً رقيقاً وغنم ٢٠٠٠٠٠ رأس ماشية ودابة وفرض على اهلها الجزية بعد تدمير ما شاء منها ووضع يده على ما فيها من سدود ، ثم



من بقای سد مأرب



بقای سد ابنه من سدود ملکه سبا



مخاربان سبئان حفرا علی حجر و کتب
علیه اسمها و هما وهب ایل و سعم

زحف على مدن نشان وكنهو وهرم فانتصر على ملوكها سي يفع ونبط على ويذمر وقتل من جيوشهم ٣٠٠٠ واسر ٥٠٠٠ وغنم ١٥٠٠٠٠ رأس ماشية وصادر اراضي نشان الزراعية وجميع السدود التي تنظم ريةا مثل صلح وحرمت وماء مذاب ، وهدم قصر ملك نشان ، وفرض كفارة على كهنة المدينة واسكن فيها جالية سبئية ، واجبر اهليها على انشاء معبد لاله سبأ المقه وسط المدينة ، واستولى على ماء ذو فقس وسد ذات ملك وقه ثم على مدن يدهن وجزيت وعريم وفرض عليها الجزية ، ثم على مدينة طيب من عم وقه ملك مرم وعلى املاك هذا الملك في عقى نجى وافقن وحرتن والجبال والسهول التي تحيط بها واودية مرس ومراعيتها ، وغلب حضرهمو ملك منعلم وانتزع منه منطقة شعبهم واوديتها ومراعيتها ومشرر وذنم وسجو ، وغلب راييم بن خال مر ملك وقيم واستولى على ما كان يملكه من مدن وارض زراعية ومناطق تسقيها السهول ، وغلب خال كرب ملك غرب واستولى كذلك على كل ما يملكه من مصيفت انى مدينة طيب ، ثم اتجه نحو الشمال فزحف على منطقة نجران واخضع قبائلها عوهب ومعهر وامرم بعد ان قتل منها ٥٠٠٠ واسر ١٢٠٠٠ وغنم ٢٠٠٠٠ رأس ماشية ، وعاد بعد هذا الى صرواح ليشكر آلهته على الانتصارات التي يسترها له في الشمال والجنوب وجعلته صاحب السلطان الاعلى على جميع بلاد اليمن ويقدم لما القرابين ويجدد معابدها ويكسو اصنامها ويبتهل اليها لتساعد سبأ وتؤلف بين قلوب ابناء الاله المقه ، وليسجل اعماله وانتصاراته هذه فترك بذلك وثيقة سبئية هامة لعلها اهم وثائق اليمن او من اهمها وهي التي تعرف عند الاثريين بنص صرواح . وقد تقصدنا سرد ما سردناه من مدن وارض وغنائم وامارات لنلفت النظر الى ما كان من استبحار العمران في هذه البلاد في القرن السابع قبل الميلاد ، ولأن في ذلك صوراً لحقبة من حقب التاريخ اليمني السبي .

وما احتواه النص ان الملك اختص نفسه وعشيرته بمدن وارضين جديدة مما استولى عليه ، حيث ذكر انه وهب لنفسه ولعشيرته فيشان اراضي ومدن تلفنى وحنوت ورداع ومنيعه ومحرم وتمنع واوعلان وموثبم وكيدار وطيب وسقى نجى وافقن وحرتن واودية مرسى ومراعيتها .

وقد ظل ملكا حضر موت وقتبان على ما يستفاد من الوثيقة مخلصين في ولائها له وساعدها في حروبه وانتصاراته فكافأهما باعطائهما مدناً وارضاً اوسانية كانت على ما يبدو من مملكتيهما واستولى عليها ملوك اوسان في ظرف من الظروف .

وقد ابقى بعض الملوك الذين غلبهم على رأس اماراتهم وممالكهم بعد ان اعلنوا

ولاعهم له على ما يستفاد كذلك من الوثيقة . ولم يرد ذكر لمملكة معين وعاصمتها قرنو في هذه الوثيقة مما جعل الاثرين يحنون ان المملكة المعينية بعد ان فقدت سلطانها الشامل انقسمت الى الممالك التي حاربها المكرب ينثع امر هذا وانتصر عليها وان مملكة قرنوظلت خاضعة فسلمت من تنكيه .

وقد اهتم على ما يستفاد من الوثيقة ايضاً بعد ان استتب له هذا السلطان الشامل لواسع لاصلاح ما افسدته الحروب فعمر اسوار كثير من المدن ورمم ما تهدم من السدود وحفر ما ردم من الآبار والعيون والجداول ومسائل المياه وانشأ سدوداً جديدة لحصر مياه المطر وتنظيم الري .

ومن طرائف الوثائق التي دونها هذا المكرب نقش سجل فيه خبر تشييده مذبحاً عند باب « قوم » احتفاء بموسم الصيد المخصص للاله عثر مما يدل على انه كان لمكارب سبأ وريما ملوك اليمن جميعهم مواسم معينة للصيد وانهم كانوا يقدمون لمعبوداتهم تقدمات لتبارك لهم موسمهم .

- ٥ -

دور الملكيه في سبأ (١)

وقد جنح هذا المكرب على ما يستفاد من الوثيقة الى استبدال لقبه بلقب الملك او زيادة لقب الملك الى لقب المكرب بعد ان اتسع سلطانه هذا الاتساع فكان آخر مكارب سبأ واول ملوكها .

ومن الغريب انه بينما ظهر من هذا الملك هذا النشاط والطموح وتمكن من بسط سلطانه الشامل بالقوة على جميع اليمن يذكر نقش لسرجون الثاني ملك اشور ٧٢٢-٧٠٥ انه تقاضى منه الجزية في جملة من تقاضاها منهم . وسرجون هذا ابو سنحاريب الذي ذكرت نقوشه ان كرب ايل السبئي هاداه بهدايا من الحجارة الكريمة والطيوب والذهب والفضة على ما اشرنا اليه قبل قليل . وكرب ايل هذا هو الملك الذي خلف ينثع امر في الملك ، ولعل المتسق مع الوقائع اكثر ان يكون قد قام بين الملكين صلات ودية كان من شاهدها تبادل الهدايا وان هذا قد استمر في عهد خلفيهما سنحاريب وكرب ايل .

(١) عنوى هذه الفقرة مقتبس من تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٢ ص ١٥٥ - ١٩٨

ولقد استمر دور الملوك السبئيين الذي بدأ به الى سنة ١١٥ ق م اي نحو خمسة قرون .
وتعاقب على الملك عدد كبير من الملوك ليسوا من اسرة واحدة كما كان المكارب . وقد
وضع فيلي استنباطاً من النقوش والنقود قائمة بهم كما يلي :

١ - كرب ال وتر	بدء حكمه حوالي	٦٢٠ ق م
٢ - سمه على ذرح ويطن انه ابن الاول	»	٦٠٠ »
٣ - كرب ال وتر بن سمه على ذرح	»	٥٨٠ »
٤ - الشرح بن سمه على ذرح	»	٥٧٠ »
٥ - يدع ال بين كرب ال وتر	»	٥٦٠ »
٦ - يكرب ملك وتر بن يدع ال بين	»	٥٤٠ »
٧ - يثع امر بين بن يكرب	»	٥٢٠ »
٨ - كرب ال وتر بن يثع امر	»	٥٠٠ »
٩ - سمه على نيف	»	٤٨٠ »
١٠ - الشرح بن سمه على نيف	»	٤٦٠ »
١١ - ذمر على بين بن سمه على	»	٤٤٥ »
١٢ - يدع ال وتر بن ذمر على	»	٤٣٠ »
١٣ - ذمر على بين بن يدع ال وتر	»	٤١٠ »
١٤ - كرب ال وتر بن ذمر	»	٣٩٠ »
١٥ - الكرب يهنعم (١)	»	٣٥٠ »
١٦ - كرب ال وتر	»	٣٢٠ »
١٧ - وهب ال	»	٣١٠ »
١٨ - اتمار يهنعم بن وهب ال	»	٢٩٠ »
١٩ - ذمر على ذرح بن اتمار	»	٢٧٠ »
٢٠ - نشأ كرب يهنعم بن ذمر	»	٢٥٠ »
٢١ - ناصر يهنعم (٢)	»	٢٠٠ »
٢٢ - وهب ال يحز	»	١٨٠ »

(١) ترك فيلي فجوة عشرين عاماً بين هذا والذي قبله وقال عن هذا انه من الاسرة المالكة الثالثة مع
انه لم يذكر احداً من السابقين باسم الاسرة الثانية .
(٢) ترك فيلي فجوة ثلاثين عاماً بين هذا والذي قبله وقال عن هذا انه من الاسرة الرابعة .

» ١٦٠ «	٢٣ - كرب ال وتر يهنعم بن وهب
» ١٣٠ «	٢٤ - فرعم ينهب (١)
» ١٢٥ «	٢٥ - الشرح يحضب بن فرعم

وقد اورد جواد علي (٢) قائمة وضعها هومل الاثري في ملوك سبأ تختلف بعض الشيء عن قائمة فيليبي ، وقد رتب هومل قائمته على اساس تعاقب اسر ثلاث على عرش سبأ ، وقد بدأت الأسرة الاولى بكرب ايل وتر وهو مكرب وملك معاً . وهذا يعني ان الأسرة الاولى هي امتداد لاسرة المكارب السابقة الفيشانية .

وهذه اسماء الملوك الذين تولوا بعد كرب ايل وتر والذين يرجح انهم من اسرته :
سمه على ذرح = الشرح بن سمه على = كرب ال وتر بن سمه على ذرح = يدع ال بين
بن كرب ال وتر = يكرب ملك وتر = يثع امر بين = كرب ال وتر .

وهذه اسماء ملوك الأسرة الثانية على رأي هومل . ويقول هذا انها اما ان تكون خلفت تلك مباشرة او بعد فترة تقدر بنحو خمسين سنة ويقدر بدء حكم هذه الأسرة بين ٤٥٠ و ٤٠٠ ق م ولا يذكر العشيرة التي تنتمي اليها هذه الأسرة :
سمه على نيف = الشرح = ذمر على بين .

وهذه اسماء ملوك الأسرة الثالثة التي تنتمي الى عشيرة مرتد من قبيلة بكيل :
وهب ال = اترم يهنعم ابنه = ذمر على ذرح = نشأ كرب يهنعم = نصرم يهنعم =
وهب ال يحز = كرب ال وتر يهنعم = فرعم ينهب .

وفي آخر القائمة يقول جواد علي عزوا الى هومل ان الملك الكرب يهنعم بن حم عث وكرب ال وتر هما من جمهرة جديدة من جمهرات ملوك سبأ مع ان الاسم الاول من الاسمين لم يذكر في عداد اسماء هومل وانما ورد في عداد اسماء فيليبي .

والمستفاد من النقوش والدراسات التي ذكرها جواد علي (٣) ان دور ملوك سبأ هذا قد تخلله منافسات شديدة على الملك ادت الى حروب وانقلابات عديدة ، وقد استمر الملك في الأسرة القديمة الفيشانية نحو مئتي سنة ثم ازاحتها عنه اسرة جديدة بدأت بالملك

(١) قال فيليبي قبل ذكر هذا الاسم ان برم اين وابنة علهان تهفان اغتصبا العرش في حدود سنة ١٤٥ الى سنة ١١٥ ق م وهما مكوّنا الأسرة الهمدانية المالكة . ومعنى هذا ان فرعم وابنه الشرح كانا ملكين بينا كان برم اين وابنه علهان ملكين في الوقت نفسه .

(٢) العرب قبل الاسلام ج ٢ ص ١٩٤ - ١٩٦

(٣) العرب قبل الاسلام ج ٢ ص ١٥٥ - ١٩٨

سمه علي نيف على رأي هومل وكرب يهنعم على رأي فيليبي استمرت حاكمة نحو مئة سنة
ثم ازاحتها اسرة جديدة من عشيرة مرثد بدأت بالملك وهب ايل على رأي هومل وناصر
ينعهم على رأي فيليبي ثم نافست هذه الأسرة اسرة اخرى من عشيرة بتع وهي فرع من
قبيلة حاشد الكبرى فنادى برم ايمن زعيمها بنفسه ملكاً لسبأ ، ولم تقبل الأسرة المرثدية
الجزية حيث ظلت متمسكة باللقب معتبرة الأسرة البتعية مغتصبة ، فكان ملكان لسبأ في وقت
واحد وهما برم ايمن البتعي وفرعم ينهب المرثدي وخلف كلاهما اولاد ظلوا يتنازعون
اللقب ويمارسونه معاً الى ان خرج من الاسرتين الى اسرة حميرية .

= ٦ =

صور متنوعة عن دولة سبأ في دور الملوك (١)

ولقد عثر على كتابات عديدة تعود الى دور ملوك سبأ وتسجل احداثاً متنوعة له
بعضها غامض ومبتور . وقد رأينا ان ننوه بما فيها من صور لتاريخ وحياة البلاد في
هذا الدور .

منها كتابة ذكرت ان الشرح بن سمة علي اقام جدار معبد المقة ورم ابراجه وحفر
الخنادق حوله وفاء بنذر انذره ان اجاب الاله دعاءه وقد فعل ويسر امره واعطاه ما
اراده فسجل شكره له ولبقية آله سبأ عثر ودهس وهوبس وذات حميم وذات بعدان .
ومجد اسم والده سمة علي ذرح واسم اخيه كرب ايل وليس في الكتابة ما يدل على ماهية
الحادث المذكور .

ومنها كتابة تعود الى عهد الملك يدع ايل بين دونها تبع كرب بن ذمر يدع من آل
مذمر وصف فيها نفسه بانه « رشو ذات غضرن قين سحر وقين يدل ال بين » ، وكلمة
رشو تعني كاهناً وكلمة قين تعني وظيفة من وظائف البلاط الملكي ، وقد ذكر في الكتابة
انه بني مع ابنائه وسائر اسرته جدار معبد المقة وحفروا خنادق وشدوا ابراجاً شكر الخذا
الآله وبقية آله سبأ لانها انعمت عليه بالتوفيق في عقد صلح بين ملك سبأ وملك قتيان
عرض شروطه على ملكه يتبع امر بين في مأرب فوافق عليها وذلك بعد حرب امتمرت
خمس سنين ، وكانت قتيان هي المشعلة لئلاها بهجومها على ارض سبأ . وقد عهد الملك
الى تبع هذا بامر الدفاع عن المملكة فتمكن من رد الغزاة ثم عقد الصلح . وقد حبس

(١) يحتوي هذه الفقرة مقتبس من المصدر السابق أيضاً .

تبع املاكاً واسعة في وادي اذنه الخصب على اعمال البر وخدمة الآفة تعبيراً عن شكره .
ويستناد من الكتابة ان مملكة سبأ لم تكن قوية حينئذ فعند القائد الصلح نعمة استحققت
لهذا الشكر كما يستفاد منها ان مملكة قتبان التي كانت خضعت لسبأ عادت فاستردت
سيادتها ووقمت تقاومها بل وتهاجمها .

وفي كتابات اخرى نعود الى عهود ملوك سبأ بعد يدع ايل بين مثل يكرب وثر وبع
امر بين اشارات الى تجدد الحروب بين سبأ و قتبان . ولقد اشتدت المنافسة بين ملوك سبأ
واسرة سبئية اخرى في هذه الفترة اغتتم القتبانيون فرصتها فاستردوا سيادتهم واخذوا
يعكرون صفو ملوك سبأ ، واغتنمت الاسرة المنافسة من ناحيتها فرصة المصالحة التي
اشتدت بين ملوك قتبان وملوك سبأ فغسرت ضربتها ونجحت في ازاحة الاسرة المالكة
التي تديمه عن العرش والاستيلاء عليه على ما يستفاد من النصوص . وكان ذلك حوالي
القرن الرابع قبل الميلاد .

على ان الصيال لم ينته بين سبأ و قتبان حيث تشير النصوص الى استئنافه في عهد سمه
علي نيف اول ملوك الاسرة الجديدة .

ولقد استمرت مملكة سبأ قائمة الى للقرن الاول قبل الميلاد ثم استمرت بعد ذلك
بعناوين جديدة وهي « ملوك سبأ وذو ريدان » ثم « ملوك سبأ وذو ريدان وحضرموت
ويمنت » على ما ذكرناه قبل في حين ان قتبان لم تعد تذكر كمملكة منذ القرن الاول قبل
الميلاد مما جعل الباحثين يظنون ان مملكة سبأ انتصرت عليها في النهاية فاخضعتها لسيادتها
اولاً ثم ابتلعها .

ومن الكتابات السبئية التي عثر عليها كتابة تعود الى عهد يكرب ملك وتر فيها تأييد
لقانون صدر في عهد ابيه لقبيلتي سبأ ويهيلج باستغلال الارض واستئجارها مقابل ضرائب
معينة تدفع للدولة وعدد معين من الجنود يخدمون في الجيش . وفي النص اسماء وقبائل
اخرى منها قبيلة اربعين التي كانت تحت حكم ملك اسمه نبط ايل مما فيه الدلالة على
اسلوب الحكم الاقطاعي الذي كان جارياً . وقد جاء في الكتابة هذه الجملة « سمع ذت
علم » ثم جاء بعدها اسماء عدد من الاشخاص وهم يكرب ملك وعمر امر وسمه كرب بن
كريم وهلك امر بن حز فرم وعمر امر بن حز فرم ويكرب بن مترم وسمه امر بن هلكم
ومعدي كرب ذو خلقن وسمه كرب ذو ثورتن ونبط ايل ملك اربعين . وقال الذين
درسوا النص ان جملة « سمع ذت علم » والاسماء بعدها تعني ان اصحاب هذه الاسماء
قد سمعوا وعلموا هذا الباب او شهدوا عليه او وافقوا عليه الخ .

وقد اרכת الكتابة بالسنة الثامنة (ثنيم) من سني ذي نيسلم من سني نشأ كرب بن كبر خلل ، حيث يستفاد انهم كانوا يؤرخون بالاحداث الهامة للأشخاص والوقائع وهي العادة التي جرى عليها الجنس العربي في الجزيرة وخارجها .

ومن هذا الباب كتابة اخرى تعود الى عهد « كرب ايل وتر » وهي امر ملكي اصدره هذا الملك الى كبار الموظفين والمشايخ الذين خولوا جمع الضرائب من الشعب مثل رؤساء « تربت وفيشان واربعن وكبر صرواح يثع بن كرب ذرح » في شهر فرع ذي يلم من سنة هلك امر . وقد وقع عليه وشهد بصحته كرب ال يهصدق من قبيلة ذي ينعان واب امر بن حز فرع واب كرب من قبيلة زحتن وعم يثع بن مونسان ولحي عث بن ملحان من قبيلة اربعن واشد ذخرن بن قلزان ونشأ كرب ابن نرحتان . والظاهر ان الغرض من ذكر اسمائهم هو بيان كونهم وافقوا والتزموا بدفع الضرائب وفق الشروط التي تم الاتفاق عليها . وكان الرؤساء على ما يستفاد من الكتابات هم الذين يتولون جباية الضرائب من قبائلهم والتابعين لهم ويوردونها لخزينة الدولة ، وكانت الضرائب تجبى نقداً حيناً وغلة كالبخور والثمار والطحين حيناً ، وكانت الغلات تخزن في مخازن الحكومة لترسل الى الاسواق الداخلية والخارجية وتباع على حساب الحكومة . وفي كل هذا صور من صور الحكم واساليب العمل به .

ومن الكتابات التي عثر عليها كتابات يستفاد منها ان كهان معابد الملقه كانوا يشرفون على اوقاف هذه المعابد وينفقون ريعها على عمارتها واعاشة رجالها كما كانوا يتناضون ضرائب معينة باسم الآلهة بحيث كادوا يكونون دولة داخل دولة . وكانوا يؤجرون اراضي المعابد لشيوخ القبائل الذين يتعهدون باسم قبائلهم بوفاء ما اتفق على دفعه للكهان . وكانت العقود توقع في المعابد وتعلن في الاماكن العامة ليطلع الناس عليها ، وكان لما قدسية بحيث يعد الاخلال بشروطها مستوجباً لغضب الآلهة على الناس فتبتليهم بالفقر والجوع والمرض والجذب . وقد عثر على كتابة تعهدت فيها قبيلة مرثد التي كان منها الاسرة المالكة الجديدة لمعبد الملقه بالوفاء بالشروط المدونة في العقد والتمست فيها من الآلهة ان تهبها غلة وافرة ومحصولاً جيداً . ويظهر ان رؤساء القبيلة لم يوفوا بما عاهدوا عليه — وربما كان ذلك منهم اركاناً على انهم ذوو الملك — ولم يسلموا الحصص كما ينبغي ، ووقع جذب انزل اضراراً بمرثد ففسر الكهنة ذلك بغضب رباني ارسله الملقه على الناقضين فمجنح الرؤساء الى التكفير عما بدر منهم والوفاء في الموسم القادم وجددوا العهد واكدوا فيه وفاءهم على ما يستفاد من كتابة اخرى عثر عليها ايضاً .

ويستفاد من النصوص التي تعود الى عهد الأسرة المرنثية ان ملوكها لم يهنأوا بملكهم وان كثيراً من القبائل والامراء وقفوا في وجودهم واتعبوهم .

وقد جاء في نقش ان صاحبه الذي سقط اسمه قدم تمثالا الى الاله تالب ريم بعلى شعرن - رب مدينة شعرن او معبد تافيه ريم في مدينة شعرن - لانه شمل برعايته وحمايته اخضر يهنعم - وهو من ملوك مرنث - ملك سبأ فحفظه وردده سالماً من الحرب . وجاء في نقش آخر خبر حرب نشبت بين احد ملوك هذه الأسرة وقبيلة حمير وكان ملك حضرموت خليفاً للملك السبي فيها فهاجمت جيوش سبأ الحميريين من الشمال وجيوش حضرموت من الجنوب وحاصروهم في موقع « ذات العرم » وكبدوهم خسائر فادحة . وذكر في نقش ثالث ان نشأ كرب يهنعم - وهو من ملوك مرنث - قدم الى تنف بعلة ذي خضرن اربعة وعشرين تمثالا من الذهب لسلامته وسلامة بيته وعافيته وعافية اهله ولتبعده عنه الشر وكل ضرر يريد ، الشانئون . وذكر في نقش رابع ان ناصر يهنعم - وهو من ملوك مرنث - قدم للحامية تالب ريم بعلى حدثت صنماً وذلك لسلامته وعافيته . وذكر في نص خامس دونه جماعة من همدان بمناسبة انشاءهم بيتاً لهم في وتران قالوا انهم جعلوه في حماية حاميههم الاله تالب ريام وسيدهم ناصر يهنعم والتمسوا من الاله ان يزيد من نفوذ همدان التي تنتمي اليها قبيلة مرنث .

وقد ذكر في نقش آخر خبر حرب نشبت بين وهب ال يحز من ملوك مرنث وذمر علي ذو ريدان (امير ريدان) وكان بعض فروع من مرنث وسعد شمس في جانب الامير الريداني كما كان جماعات هوف عم ومخظرون وسخيم وخولان وبنو بتع في جانب وهب مما يدل على انها حرب تنافسية طرفاها ذو ريدان وملك سبأ المرنثي .

وفي الجملة فان النقوش التي عثر عليها من مخرجات القرن الثاني قبل الميلاد تشير الى ان المملكة السبئية كانت تمر في حقبلة اضطراب شديدة . وكان الطامحون الى العرش والسلطان يتجادبون الحيل ويحاولون استغلال الفرص ، وكان ذو ريدان والحميريون الذين ينتسب اليهم من اقوى الجاثلين في الميدان . وقد عثر على نص جاء فيه ان برم اينم وشقيقه برج يهرجب قدما لحاميهما الاله تالب ريام بعلى ترعت ستة تماثيل لانه من على برم اينم بالتوفيق والسداد في مهمته فقام بها خير قيام وهي عقد صلح بين ملوك سبأ وذو

(١) محتوى هذه الفقرة مقتبس كذلك من المصدر السابق .

ريدان وحضرموت وقتبان بعد الحرب التي وقعت بينهم ، وانه كان من نعمة الله على برم ان رفع مكانته في عين ملك سبأ فاتخذته وسيطاً في عقد صاح بينه وبين الملوك الآخرين فنجح في مهمته وذلك في سنة ثوبن ابن سعدم ابن يهسحم . على ان برم هذا الذي عرف من النصوص انه زعيم عشيرة بتع الهدانية وقيل (١) عشيرة سمعى لم يلبث ان دخل الميدان طامعاً منافساً لملك سبأ حينما رأى الفرصة سانحة حيث عثر على نصوص تفيد انه نادى بنفسه ملكاً لسبأ في اواسط القرن الثاني قبل الميلاد واستطاع ان يوطد سلطانه وان يورثه لابن له اسمه علهان تهمان . ولم ترض الاسرة المرنثية بالواقع فاخذت تحشد قواها لتوطيد سلطانه وبرز منها زعيم اسمه فرعم بنهب فاكد انه هو ملك سبأ وليس علهان وابوه من قبله إلا مغتصبين باغين . ويبدو ان برم اعلن نفسه ملكاً لسبأ في غير مدينة مأرب لان فرعم برز ونادى بملكه في هذه المدينة التي كانت عاصمة المملكة . ولقد عثر على نقوش يستفاد منها ان العشيرة التي كان ينزهمها برم كانت تقيم في مدينة حاز ، فمن المحتمل ان يكون نادى بنفسه ملكاً لسبأ في هذه المدينة . ولعل احتفاظ الاسرة المرنثية بالعاصمة التقليدية لعرش سبأ مما جعلها تعتبر نفسها صاحبة السلطان الشرعي وتعتبر الاسرة التبعية باغية .

ولقد عمد علهان على ما تفيد النقوش الى الاستئانة بملك حضرموت وعقد حلفاً معه لتوطيد سلطانه . ويظهر ان هذا الحلف كان ضرورياً الى درجة حفزت بعض انصار علهان الى تقديم نذور للآلهة وتوجيه دعاء اليها بتوفيق علهان الى التحالف مع بدل ايل ملك حضرموت ليساعد احدهما الآخر ويتآخيا ويتحدا معاً تآخياً واتحاداً تامين .

ولقد عثر على نقش يحتوي اسماء الملوك والامراء والاقاليم التي كانت خاضعة لسلطان علهان هذا ويدل على انه استطاع ان يوطد سلطانه لفترة من الوقت (٢) .

وتفيد النقوش ان امير ريدان وقبيلته حمير التي صارت تذكر بحفاوة في هذه الحقبة غضبوا لبغي علهان واستعدوا لنصرة الاسرة المرنثية عليه فكان هذا مما حفز علهان الى التحالف مع ملك حضرموت . ولما تم التحالف زحف عليهم بالاشتراك مع حليفه فهاجمهم من الشمال وهاجمهم ملك حضرموت من الجنوب وانتصروا عليهم .

(١) زعيم او امير .

(٢) هذا نص النقش بلغته العربية القديمة : عليهمو علن ملك سبأ وخميس واعرب ملك سبأ ذهم وقتبن واقول واشعب ملك حبشت ارض وتوين ذو ريدن اذنت وخميس ملك سبأ » .

ومما فعله علهان بسبيل توطيد ملكه عقد حلف بينه وبين ملك الحبشة على ما يستفاد من نقش امر بتدوينه جاء فيه « إنه هو وابناؤه شعرم اوتر وبرم ايمن ملوك سبأ قدموا ثلاثين تمثالا من الذهب والفضة لمعبد الاله في يهجل وقاموا باصلاحات كثيرة فيه لانه اجاب طلبهم ومن عليهم ووفقهم الى عقد حلف مع « جدرت ملك احبشت » يتعاونان في نطاقه في ايام الحرب والسلم لرد كل اعتداء يقع على احدهما ومحاربة كل عدو يريد باحدهما سوءاً . وقد ذكر في النقش ان سالحين وزراران - ولعلمها امارتان - كانا متحالفين مع جدرت فشملمها هذا الحلف . وكان هذا الحلف كالحلف الحضرموتي الذي اشرنا اليه موجهاً في الدرجة الاولى ضد امراء ريدان والحيريين الذين كانوا يباؤون علهان انتصاراً للأسرة المرنثية . وهكذا اخذ الاحباش يدخلون في سياسة بلاد اليمن في حقبتها المضطربة هذه .

ولقد قال بعض الباحثين (١) ان السبثيين كانوا يختلون القسم الاكبر من ارض الحبشة والسواحل الافريقية المقابلة لبلادهم قبل الميلاد فنهض الاحباش الجعزيون فقصوا السلطان السبئي واسسوا مملكة ادوليس ومملكة اكسوم ثم ابتلعت الثانية الأولى . وهكذا تطورت قوة الاحباش نتيجة لما كان من تنافس وزراع في الدولة السبئية في عهدها الاخيرة ، فتخلصوا من السلطان السبئي ثم صار ملوك سبأ يخطبون ود ملوكهم ويعتبرون تحالفهم معهم خيراً ونصراً . ثم صاروا يغزون بلادهم بعد ذلك حتى قصوا على دولتهم على ما سوف نذكره في جزء آخر لان ذلك وقع في دور العروبة الصريحة .

وقد يبدو شيء من التناقض بين النص الآنف الذكر والنص السابق لان هذا يفيد ان اجدرت ملك احبشت كان مستقلاً وكان علهان معتزلاً بمخالفته بينما النص السابق يفيد ان « اقول - ومعنى اقول اقيال اي حكام - واشعب ملك حبشت » كانت من جملة الخاضعين لملك سبأ . ويقول بعض الباحثين ان « احبشت » ليست في الاصل هي بلاد الحبشة وانما هي اقليم في جنوب الجزيرة كان يسكنه شعب « احبشت » وان منهم من هاجر الى البلاد المعروفة اليوم بالحبشة وتوطنوا فيها فاطلق عليها اسمهم (٢) حيث يكون في هذا القول تفسير وتوفيق ويفيد ان احبشت التي في النص الاول هي التي كانت في جزيرة العرب وفي النص الثاني هي الحبشة الافريقية .

(١) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٣ ص ١٥٠

(٢) المصدر السابق .

ولقد عثر على نقش ذكر فيه علهان باسم ملك سبأ وذو ريدان وان ابناً له اسمه شعر اوتر خلفه وتلقب باللقب نفسه ما يدل على ان علهان قد انتصر على الحميريين واميرهم ذو ريدان في النضال واستولى على ريدان .

ومن طريق ما سجلته النصوص ان الشرح يحصب بن فرعم ينهب الذي خلف اياه على عرش مأرب سمي نفسه هو الآخر ملك سبأ وذو ريدان حيناً تلقب علهان بهذا اللقب واورثه ابنه على اعتبار انه هو صاحب السلطان الشرعي . وهكذا كان في القرن الاول قبل الميلاد اسرتان ملكيتان يتلقب ملوكهما بلقب ملك سبأ اولاً ثم بلقب سبأ وريدان .

على ان الحميريين لم يلبثوا ان جمعوا قواهم ونهضوا ثانية ودخلوا في الصيال مع علهان ثم مع ابنه شعر اوتر من بعده واستطاعوا ان ينتصروا على الاسرة البتية . وقد رأوا انفسهم بعد هذا الانتصار اقوى من أن يكونوا اتباعاً للأسرة المرنثية فتمردوا على ملكها الشرح بنحصب الذي كانوا يحاربون الاسرة البتية من اجله ، فشب نزاع بين الطرفين واستمر طيلة عهد الشرح ثم في عهد خلفائه من بعده وكتب النصر فيه في النهاية للحميريين فصاروا اصحاب الدولة والسلطان . وكان ذلك في اواخر القرن الثاني قبل الميلاد . وقد تلقب ملوكهم بلقب ملك سبأ وذو ريدان ثم بلقب ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمت حيث استطاعوا ان يسيطروا سلطانهم على سائر انحاء اليمن . وقد عرفت هذه الدولة في كتب العرب بالدولة الحميرية نسبة لقبيلة حمير التي قامت بها . ولما كان دور العروبة الصريحة قد انبثق في عهد الدولة الحميرية هذه الذي امتد الى اوائل القرن السادس بعد الميلاد فان الكلام عنها سيكون من متناول القسم الثاني من هذا الكتاب .

هذا ، ونرى من الحق ان نوه في ختام هذا المبحث كما نوهنا في ختام مبحث الدولة المعينية بما تدل عليه النقوش التي تعود الى عهد الدولة السبئية من سعة انتشار القراءة والكتابة في نطاق هذه الدولة والرغبة في تسجيل الاعمال العامة والخاصة استمراراً لما كان من ذلك قبلها مع الزيادة عليه ، وبما في ذلك من دلالة ثقافية قوية .

- ٨ -

صور عن حاله سبأ من المدونات القديمة

ومما يحسن ايراده في هذا المقام وصف هيروده . وبيليموس لبلاد اليمن في ظرف

كانت خاضعة فيه للدولة السبئية (١) . فقد ساءها هيرودوس وهو من اهل القرن الخامس قبل الميلاد ببلاد الطيوب وقال إن فيها وحدها البخور والمر والقرفة والدارحيني والبلادن ، وانها مزدحمة بالسكان وتمتع بخصب عظيم . وقد وصفها سترابون وصفاً رائعاً فقال انها أصبحت بما لها من نصيب في تجارة الطيوب أغنى البلاد عامة وأنها أخصب بلاد العرب وان من محصولاتها المر والبخور والقرنفل والبلسم والقرفة وسائر العطريات فضلاً عن النخيل والغاب ، وان اهلها يستعملون من مستحذات الملابس المصنوعة من الذهب والفضة الاسرة ومثلثات القوائم والاحواض واوعية الشراب ، وناهيك بمنزلهم الفخمة التي زوقت ابوابها وجدرانها وستوفها بالالوان ورصعت بالعاج والذهب والفضة والحجارة الكريمة . اما بيلنوس الروماني وهو من اهل القرن الاول الميلادي فقد قال راوياً عن مؤرخ روماني اقدم منه ان سبأ فاقت الجميع ثروة بما توفر في ارضها من الاشجار العطرية ومناجم الذهب ونظم الري ، وهي تنتج الغسل والشمع بكثرة ، ولعلها اغنى بلدان الارض قاطبة بما يتوارد اليها من كنوز دولة الرومان ودولة الغرثيين . وفي هذا ما فيه من الدلالة على ما بلغ اليه هذا الاقليم العربي من الازدهار ، وما تمتع به اهلها من رفاه وثروة في القرون السابقة للميلاد المسيحي .

ويظهر من هذه الاوصاف ومما تكرر وصف اليمن به من الذهب والفضة وهدايا ملوكها منها ان دول اليمن استطاعت ان تستغل معادن الذهب والفضة استغلالاً واسعاً مما فيه دلالة بطبيعة الحال على ما وصلت اليه من مهارة وفن . اما الطيوب وغابات شجارها ونباتاتها فيبدو انها مما حبته الطبيعة لهذا القسم من جزيرة العرب ، ولا تزال الطبيعة تحبوه به الى الآن على ما يستفاد من وصف السياح والزوار حيث يقولون انه يوجد في اليمن غابات من شجر الياسمين والياسبان وغيره من الاشجار العطرة .

كذلك مما يحسن لفت النظر اليه في هذا المقام ما بين النصوص والاسماء السبئية والمعينية من تقارب لغوي من جهة والى ما اخذت هذه النصوص والاسماء تتجه اليه من تقرب نحو العربية الفصحى من جهة اخرى . ففي هذا مشهد من مشاهد التطور نحو العربية الصريحة ولغتها الفصحى الذي بلغ نهايته في اواخر عهد الدولة الحميرية على ما سوف نذكره بعد .

[١] العرب قبل الاسلام لزيدان وتاريخ العرب المطول لحتي ج ١



معبد حمداني كشف
عنه في ضاحية حجة -



شارب راكب حملايته
مواضع ماء وكثب في اعلا
البحر - قاع
- مشير ه حيت بن بن

الدولة القتبانية (١)

- ١ -

نشوء دولة قتبان وآثارها

من خلال الفصل السابق يبدو انه كان من الدول اليمنية المهمة دولة اسمها قتبان ، وانها كانت قائمة إبان قيام الدولة السبئية .

وقد ذكر القتبانيين كل من ثيوفراسنس واسترابون وبلينوس الذين عاشوا قبل الميلاد المسيحي ومما قاله استرابون إن القتبانيين كانوا يقطنون الاقسام الغربية من جنوب اليمن وان منطقتهم كانت تمتد الى باب المندب ، وان مدينتهم الكبرى او عاصمتهم بتعبير آخر هي تمنا وقد يكون الاسم تمنع وتعذرت كتابة العين على الكاتب الاعجمي ، وتقع خرائبها في وادي بيحان في منطقة عرفت بخصبها وكثرة مياهها وبساتينها . ولا تزال آثار نظام الري القديم تشاهد الى اليوم ، وتسمى اطلال المدينة اليوم « كحلان » . وقد ذكر بلينوس انه كان في تمنا خمسة وستون معبداً مما فيه دلالة على ضخامة المدينة وعمرانها ، وان للقتبانيين مدناً عديدة اعظمها ناجيا وتمنا . ولقد عثر على كتابات ونقوش ونقود كثيرة تحتوي اشياء كثيرة عن ملوك هذه الدولة وقوانينها وآلهتها وطقوسها وشؤونها التجارية والزراعية والعمرانية والفنية والسياسية واسلوب الحكم والادارة فيها وصلاتها بغيرها .

- ٢ -

تطور الحكم في دولة قتبان

وبستفاد من ذلك ان وجود هذه المملكة يعود الى زهاء الف سنة قبل المسيح ويمتد الى قبيل ولادته على اختلاف في تحديد الزمن . وهذا يعني انها كانت قائمة في عهد كانت فيه دولتا معين وسبأ قائمتين .

وقد تقلبت في اطوار . فتمتعت باستقلالها التام حيناً من الدهر وتشادت مع سبأ على السيادة على الدولة المعينية ونجحت في البداية فصار لها عليها السيادة على ما يستفاد من

(١) عتوى هذا العنوان مقتبس من تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي ج ٢ ص ٨ - ٦٣

نقش ذكر فيه ان ملك قتبان « شهر يخال يهر حب » هو سيد ملك معين وابنه . وهذا الملك قد حكم في القرن التاسع قبل المسيح وهناك نقش آخر يعود الى عهد الملك « شهر هلل بن ذر اكرب » من ملوك قتبان في القرن نفسه ذكر فيه اسم شعب معين في جملة الشعوب التي كانت خاضعة له ، حيث احتوى النقش اشارة الى قانون اصدره لشعوب « قتبين وذى عاسن ومعين وذى عشم اصحاب ارض سدو (١) » وقد عثر على نقش امر بكتابته « اليفع بشر » ملك معين في عاصمته قرنو ذكر فيه ان كاهنين من كهان قتبان حضرا حفلة تتويجه مما فيه دلالة على شيء من ذلك .

وواضح من هذا ان معين خضعت لسيادة قتبان مع احتفاظها بكيانها وهي الطريقة التي كانت جارية في هذه البلاد بصورة عامة .

ثم نزلت قتبان من هذه الذروة حتى غدت خاضعة لسيادة سبأ عنى ما يستفاد من نقش يعود الى زمن الملك عليها ملك سبأ ذكر فيه الخاضعون لسيادته (٢) . وعليها هذا هو على الأرجح عليها نهان الذي كان ملكه في القرن الثاني قبل المسيح . وليس هناك ما يفيد بدء غزو قتبان خاضعة لسبأ .

— ٣ —

مكارب وملوك قتبان

وقد عرف من النقوش والنقود ان رؤساء هذه المملكة كانوا في بدء امرهم مكارب ثم صاروا يتلقبون بلقب الملك على نحو ما كان في الدولة السبئية . وقد قرئت اسماء عدد كبير من مكارب هذه الدولة وملوكها على النقوش والنقود . ورتب الباحثون قوائم بها اوفاهها قائمة فيليي وان لم يمكن القول انها اصحها وهذه هي :

(١) هذا هو نص النقش بالهجة القتبانية العربية القديمة « حاكم سحر وحرج شهر بن ذرأ كروب ملك قتبين شعبين قتبين وذى عاسن ومعين وذعتم ابل صروب عدو سدو » واللمعة العربية بادية على النص وعلى الاسماء خاصة .

(٢) هذه عبارة النص بالهجة السبئية « عابهمو عابن ملك سبأ وخيس واعرب ملك سبأ فحم وقتبين واقول واعشب ملك حبشت ارض ونوين ذر ريدان اذلت وخيس ملك سبأ » واللمعة العربية بادية على هذا النص ايضاً .

٨٦٥	ق م	سمه على وهو مكرب وحكمه في حدود
» ٨٤٥		هوف عم يهنعم ابنه وهو مكرب
» ٨٢٥		شهر يجل يهر جب بن هوف وهو ملك
» ٨٠٠		دروال غيلان يهنعم بن شهر يجل وهو ملك
» ٧٨٥		فرع كرب بن يهو ضع بن شهر يجل وهو ملك
» ٧٧٠		شهر هلال بن ذراً كرب وهو ملك
» ٧٥٠		يدع ابن ذبيان يهر جب بن شهر هلال
» ٧٣٥		... بن شهر هلال
» ٧٢٠		شهر هلال يهنعم بن يدع اب
» ٧٠٠		نبط عم بن شهر هلال
» ٦٨٠		يدع اب يتوف بن يدع اب
» ٦٤٠		سمه وتر
» ٦٢٠		وروال بن سمه وتر
» ٥٩٠		اب شيم
» ٥٧٠		اب عم بن اب شيم
» ٥٥٥		شهر علن ابن اب شيم

وعلى رأي فيليبي صاحب هذه القائمة ان نهاية مملكة قتيان كانت في عهد الاخير حيث اندجحت في مملكة سبأ وغدت جزءاً منها . غير ان هناك آثاراً تفيد ان حروباً عديدة تشعبت بين ملوك قتيان وسبأ وان ملوك قتيان استطاعوا في القرن الرابع قبل المسيح استرداد سلطنتهم ومارسوه ردهاً من الزمن على ما ذكرناه في فصل الدولة السبئية .

وهذه قائمة اخرى للأثري البرايت الذي يظن ان نهاية مملكة قتيان كانت حوالي سنة خمسين قبل الميلاد حيث زالت كمملكة ذات كيان مما يمكن ان يكون اقرب الى الصحة في هذه النقطة :

سمه على وتر مكرب = هوف عم يهنعم بن سمه = شهر ... يدع اب ذبيان يهنعم
مكرب = شهر هلال يدع بن اب مكرب = سمه وتر = وروال وحكمه في حدود ٤٥٠
وكان خاضعاً لسبأ = شهر مكرب = يدع ايل ديبان بن شهر اول من تلقب بلقب ملك
في اواخر القرن الخامس = شهر هلال بن يسدع = نبط عم بن شهر هلال = ذمر على =
يدع اب يجل بن ذمر = اب شيم = شهر غيلان بن اب شيم = بي عم بن شهر = شهر يجل

بن يدع اب وكان حكمه في حدود ٣٠٠ ق م = شهر هلال يهنم = يدع اب ديبان بن
جرب = فرع كرب = يدع اب غيلان بن فرع كرب = هوف عم يهنم ١٥٠ ق م =
روال غيلان يهنم = فرع كرب = يهو ضع بن شهر يجل - يدع اب ينوف = ذراً
كرب = شهر هلال بن ذراً كرب .

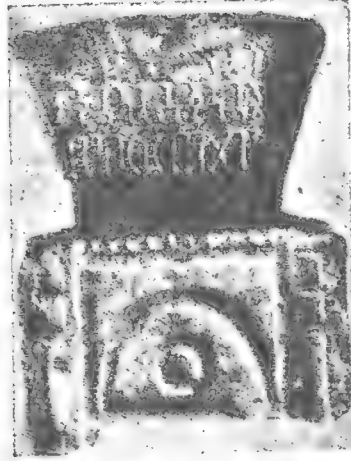
وليس في الآثار ما يدل على كيفية زوال المملكة القتيانية بجزم . وكل ما خمنه
الباحثون ان السبثيين قد اخضعوها لسيادتهم في القرن الثالث قبل الميلاد ثم ابتلعوها .
ولم يذكر احد من الكتاب القديمين بعد بطليموس احد اسم قتيان كدولة مما يدل على
انها كانت في القرن الاول قبل الميلاد قد زالت وغابت جزءاً من الدولة السبئية
الريمانية الحميرية .

- ٣ -

حروب قتيان وسبأ

وقد عرف من النصوص ان حروباً عديدة نشبت بين ملوك قتيان وسبأ في ادوار
المكارب ثم في ادوار الملوك ، وان قتيان الفت حلفاً لمقاومة سبأ التي اخذت تبرز وتحاول
بسط سلطانها الشامل ، وكان من اعضاء الحلف دهس ومعين ومهامرم وامرم الذين
كانوا رؤساء حكومات مستقلة في نطاق مملكة قتيان ، غير ان سبأ تغلبت على هذا
الحلف وضمت اليها اراضي حكوماته ثم حاصرت مدينة يثل وخربت سدودها واستولت
على منشأتها ، مما ذكرناه بشيء من الاسهاب في فصل الدولة السبئية .

وقد احتوت النقوش خبر حرب بين سبأ وعتبان استمرت خمس سنين وانتهت بصلح
عده قائد سبأ نصرأ وتوفيقاً وشكر الآلهة عليه مما يدل على ان قتيان كانت استطاعت ان
تنهض وتقوى وتتغلب من سيادة سبأ بل وتغزو اقوى من سبأ في هذا الظرف الذي
يخمن انه اواخر القرن الخامس قبل المسيح . وقد جاء في احد النقوش ان سبأ هاجمت
عتبان في ظرف قريب من ذلك الظرف وبعد الصلح المذكور وكان يساعدها مملكة او
مشيخة اسمها رعنى ولكنها تراجعت عنها مما يبطوي فيه نفس الدلالة . وكان هذا في
عهد الملك يدع اب يجل ملك قتيان . وقد جاء في هذا النص الذي دونه يذمر ملك
رئيس عشيرة ذرآن في ايام الملك المذكور انه تغلب على قبيلة ذبحان الساكنة في ارض



منجره او مذبح وعليها كتابة مسندية



صورة رجلين يحمل احدهما الجسه وفيها نموذج
لللباس اهل اليمن القديم وكتب عليها
« صور زاد بن سعد اوم »

حمر (١) وعلى قبائل ذودن وصبرم وسلمن واسترلى على مدنها ومزارعها ووهبها لعم وانبي الهى قتيان ولملك قتيان حيث يستفاد من هذا ان يذمر ملك كان الفائد الذي قاد جيوش قتيان التي وقفت في وجه الزحف السبيى واحبطته وان القبائل المذكورة كانت تناصر السبيين فنكل بها .

- ٤ -

وكان على ما تنيده النقوش لكل مجتمع ومدينة في مملكة قتيان مجلس شيوخ يسمى « مشود » ينظر في الشؤون المحلية كما كان مشود اعلى في العاصمة يجتمع فيه شيوخ الأسر والقبائل للاشتراك مع الملك في النظر في شؤون المملكة وهو ما كان في دولتي معين وسبأ . وقد عثر على نص طويل لقانون اصدره الملك « شهر يجلل يهر جب بن هوف عم » باسمه واسم شعب قتيان في كيفية دفع ضرائب الارض واستبارها وقسمتها بين القبائل والعشائر مؤرخ في اليوم التاسع من شهر ذي نوح من السنة الاولى من سني عم على من آل رشم من عشيرة قنعن » وفي نهاية النقش طائفة من الاسماء بعد كلمة « ايدهمو » التي يظن انها تعني ان هؤلاء الذين وردت اسماءهم قد كتبوها بايديهم وانهم شهود على صحة القانون وموافقون عليه وحيث يرجح ان يكونوا اعضاء مجلس المشود الاعلى . وهذه هي الاسماء التي وردت في النقش نثبها لبروز الممحة العربية عليها بقوة ولكونها تمثل طوراً من اطوار اللغة والاسماء والاعلام العربية قبل المسيح ببضعة قرون . غريم من نشان = يجر ورشم من شحر سمكر وقنمان = محضرم = عم رشوان = مرجزم = خلبان حضرم = حمران من ذران = دنم من آل شعتم من قبيلة ودم = ذرحان ودم وبوسان وملحم وورقان وشحط وشكمم من قبيلة معدان = بنح عيل = اجسلان = تهنكان = ذمران = ليشان = اجرم .

وقد عثر على نقش آخر فيه قانون جزائي بشأن مرتكبي الجرائم ومخالفى القوانين وحكم الشخص الذي يقتل مجرمًا حكم عليه بالموت وحكم القبيلة او الموضع الذي يقع فيه القتل ولا يعثر فيه على القاتل . وذكر في نهاية النقش ما يفيد ان هذا القانون قد صدر ووافق عليه الملك في « شهر ذي مسات من سنة غوث ايل » وشهد على صحته جماعة من الاعيان والرؤساء من القبائل الكبرى مثل ردمان ومذحج ويهر ويقلم وغيرها . وقد

(١) النس القتياني هو [شعبن ذيجن ذحور]

ورد كلمة مشود وقيل هذه كلمة مشود وقبل هذه كلمة الملك مما قد يدل على ان الاسماء
اعضاء مجلس المشود الاعلى .

- 0 -

عناية ملوك قتبان بالزراعة والتجارة

ويستفاد من النقوش ان ملوك هذه الدولة كانوا يعنون عناية فائقة باستغلال الارضين
وخصرائها وجبايتها وتنظيم اعمالها واعمال التجارة . فهناك نقش فيه قانون اصدره الملك
شهر هلال بن ذراً كرب « يبين فيه واجبات شعوب المملكة الاربعة وهي « قتبـن وذي
علسن ومعنم - معين - وذي عنم اصحاب ارض سدو » في كيفية استغلال الارض
والاعمال المترتبة عليها . وهناك نقش من زمن الملك « شهر غيلان » يحتوي بياناً بكيفية
جباية الضرائب من قبائل كحد ودنت جاء فيه ان الملك امر بتدوينه ليكون قانوناً وان
زعيم كحد هو الذي يتولى جباية ضرائب هذه القبائل والاشراف على تنفيذ القانون
وتطبيقه على كل فرد على ان يقدم ما يجيبه سنة فسنة ما دام في وظيفته ويعتبر الامر
نافذاً من هلال شهر ذو تمنع سنة موهب ذو ذرحان آخرأ فآخرأ (١) . وقد حددت
الضرائب بعشر كل ربح صاف وكل ربح يأتي من التزام او بيع او ارث . وقد ورد
في النقش اسم ضريبة اخرى وهو « عصم » ويخمن انها ضريبة المعبد لان كلمة «عصم»
تطلق على كل ما يقدم باسم الآلهة او المعابد من زكاة او ندور أو هبات . وهناك نص
كتب كأمر ملكي يذكر فيه الضرائب الزراعية الواجب جبايتها من « اربى عم ذليخ »
اي جماعة الاله عم في ارض لبخ في موسم الحصاد والثمار . وقد عين فيه الضرائب التي
يجب دفعها لخزانة الحكومة والضرائب التي يجب دفعها للاله عم والالاهة عثيرة . وهناك
نص كأمر ملكي ايضاً فوض فيه الملك امر استغلال وادي لبخ الى «اربى عم ذليخ(٢)»
مقابل شروط ذكرها وهي دفع زكاة الارض والغلات له وللمعبد عم وعثيرة . وقد
ذكر في النص ان الذين مثلوا جماعة ارض لبخ هم من بني هيب الذين يبدو انهم زعماء
الجماعة . وقد ذكر فيه كذلك ان الامر قد دون واعلن للناس بيت الاله عم رب لبخ

(١) هذا نص عبارة التاريخ [ورخن ذو تمنع خرف موهم ذو ذرخن آخرن آخون] وكانت كلمة

ورخن تسمى الشهر .

(٢) الجملة تنبي جماعة عم في مدينة لبخ او ارض او مقاطعة لبخ .

الكائن بذى غيل وعلى باب ذو سدو بمدينة تمنع في شهر ذي تمنع في السنة الثانية من سني شهر يجر . وهناك نص وجه الخطاب فيه من الملك شهر هلل ينعم الى اربى عم ذليخ ايضاً في كيفية دفع الضرائب والوظائف . وقد ذكر في هذا النص ان الملك وافق عليه وامر باعلانه تنفيذاً لارادة معبد حطيم المخصص لعبادة الاله عم ذو دنم ولاوامر معبد رصف ومعبد الاله انبى ولوحى الالهة شمس وربيع شهر . وقد ذكر في النص اسماء وكلاء ومثلي شعب اربى عم ذليخ الذين سينفذون هذا الامر بالنيابة عنهم ، كما ذكر فيه انه اعلن في معبد عم ذليخ في ذي غيلهم جدر ذو سدو ذو تمنع ، ويبدو ان هذه النصوص الثلاثة الاخيرة في موضوع او ظرف واحد يتمم بعضها بعضاً . ويسلك النص الذي ذكرناه في الفقرة الرابعة للقانون الذي اصدره الملك شهر يحل في هذا الملك ايضاً .

وقد عثر على نصوص عديدة مدونة بامر الملك شهر هلل بن يدع وموجهة الى رعاياه وغيرهم من يقصد المملكة للاتجار والى القتيانيين والغرباء الذين يتعاملون في اسواق قتيان او في الاسواق الخارجية حتم فيها عليهم تقديم رهونات وافية توضع في خزانة تمنع ليسمح لهم بالاتجار مع شمر او في اماكن اخرى تقع وراء حدود مملكة قتيان . ويظهر من هذه النصوص ان شمر كانت مقاطعة مجاورة لقتيان مستقلة بعض الشيء ، وانها كانت سوقاً يقصدها التجار من قتيان ومن خارجها عن طريقها للمتاجرة فيها . وقد فرضت عقوبات مالية على من يخالف الامر ويتاجر مع الغرباء دون علم الحكومة وهدد كل من يتعامل بالسوق السوداء ايضاً بدون علم الحكومة بالاستيلاء على جميع رهوناته ومصادرة بيوته وحاصل موسمين من مواسمه واذا كان فر الى خارج المملكة يعصادر كل ما يملك ويصبح ملكاً لملك قتيان . ومن جملة التعليمات الواردة في النصوص حصر النشاط التجاري مع شمر بالنهار ومنه بالليل من الغروب حتى الصبح . واحتوت النصوص ما يفيد ان هناك اتفاقاً تجارياً بين قتيان وشمر ، فالشمريون الذين يقصدون قتيان للاتجار يضعون كذلك رهونات في خزانة شمر ثم يجري الحساب بين الحكومتين على رسوم المعاملات التجارية المتبادلة ويدفع الرائد من الرهونات الموجودة في خزانة الطرف المدين .

ونقول بهذه المناسبة ان كتاب اليونان والرومان القدماء ذكروا ان ملوك قتيان كانوا يحتكرون تجارة الطيب والبخور ولا يسمحون لاحد بالاتجار بها إلا باذن منهم . وكانوا يعينون اماكن خاصة لتكون اسواقاً لها ، فالسابع يقصدها التجار . وقد قال بيلنوس حينما

تحدث عن البخور انه لم يكن يسمح بتصديره إلا بواسطة مملكة قتيان وبعد دفع الضريبة الى ملكها ..

وقد عثر كما قلنا قبل على نقود قتيانية عديدة برونزية وذهبية منها ما كتب عليه اسم الملك يدع اب نيف وصورته عليه صورة رأس رجل جعد الشعر وكتبت كلمة حرب - حرب - وهي المدينة التي ضربت فيها النقود على الأرجح وموقعها معروف الى اليوم على مسافة خمسة وخمسين كيلو متراً الى شرق شمال صنعاء على طريق مأرب . ومنها نقود عائدة الى الملك شهر هلال واخرى الى الملك روال غيلان .

- ٦ -

فنون قتيان

وقد كان فن الهندسة متقدماً في هذه المملكة كما كان في الدولة السبئية حيث تسجل احدى الكتابات ان معبد عم ذو شمرن وعم ذورعيت امروا - والمرجح ان العبارة تعني ان كهان المعبد امروا بفتح طريق في مناطق وعرة واراض جبلية استوجبت احداث ثغرات في الصخور وفتح انفاق في الجبل ، وان رجلاً اسمه اوس عم بن نصر من آل موهم اشرف بنفسه - ويبدو انه كبير المهندسين - على ادارة العمل ورسم الخطوط وقام برصف الطريق وتبليطه وإكساء ممر ظرم خاصة بالاسفات وذلك بناء على تكليف مكرب قتيان يدع اب . وقد عثر على كتابة اخرى تفيد ان هذا المهندس قام باعمال عمرانية مماثلة في مواضع جبلية اخرى وبيداء عدة معابد لاله ود والآلهة الاخرى مثل عثر وعم وذات صفتم وذات ظهرون .

وقد عثر في خرائب تمنع على تمثالين لاسدين وفارسين على هيئة كيوبيد مالك الحب واله الحب . وقد صنعت السهام من النحاس . وكذلك على مصنوعات معدنية وخزفية جميلة الصنع مما فيه دلالة على ان فن النحت والصباغة كان هو الآخر متقدماً في هذه المصنوعات والطرارز اليوناني والروماني واستولوا بذلك على أقدم الصلات التي كانت بين اليونان والرومان وبين هذه البلاد .

وقد عثر على نقش ذكر فيه ان « يدع اب ذيبان بن شهر » مكرب قتيان واولاده عمه واوسان وكحد ودهس وتبنى اشتركوا في فتح طريق وانشاء مبلقة بين برم وحرب وفي تجديد بيت ود وعثره وهما معبودا القتيانيين الرئيسيان . وفي بناء مخرن في قلى .

واوسان وكحد ودھس وتبني مقاطعات او امارات مستقلة استقلالاً داخلياً في نطاق سيادة قتيان على الارجح . ولعل اولاد عم مكرب قتيان هم الآخرون امراء امارات مستقلة ايضاً .

وفي هذا صورة من صور التعاون في الاعمال العمرانية بين ملوك قتيان والامارات الداخلة تحت سيادتهم والمتمتعة باستقلالها الذاتي . ويظن ان كلمة مبلقة تعني مرفقاً من مرافق الطرق كمظلة او استراحة وان كلمة مخنن تعني مذبحاً او محرقة للطقوس الدينية .

ومن هذا الباب نص دونه معمار اسمه شرح عث بن عبد ايل بن تنزب كلفه الملك شهر غيلان بانشاء برج وكانوا يسمونه « عريم » وادارة العمل ، وقد ذكر في النص اسم الملك واسم ابيه واسم ابنه وآلهة قتيان « عثر » و « عم » و « ابني » و « عم ذيسرن » و « عم ذشقيير (١) » و « حوكم » و « ذات صنتم » و « ذات ظههرن » و « ذات رحبن (٢) » .

ونص آخر امر هذا الملك تدوينه بمناسبة ترميم الاقسام القديمة من معبد « بيجان » وتجديدها وبناء اقسام جديدة فيها . وقد عرف من النص ان هذا المعبد مخصص لعبادة الاله عثر نوفان ؛ وقد ذكر مع ذلك في النص اسماء آلهة اخرى تيمناً وتقرباً اليها مثل « عم » و « ابني » و « ذات صنتم » و « ذات ظهران » .

وهناك نصوص اخرى مماثلة دونت بامر هذا الملك وغيره بمناسبات مماثلة وفيها اسماء آلهة قتيان وتدوينه بمساعدتها على اتمام العمل ، وليس فيها تفصيل .

هذا ونذكر في خاتمة الفصل عن قتيان ان بعثة اميركية قامت في خرائب تمنع بالتقنيات مهمة سنتي ١٩٤٦ - ١٩٥٠ وعثرت على نحو ستة آلاف نص لم تعلن بعد نتائج دراستها وما اوردها في تاريخ قتيان واحوالها مستمد من النصوص التي عثر عليها الاثريان غلاسرو هاليني في القرن الماضي في جنوب اليمن والتي يبلغ عددها الفين ونيفاً (٣) . ومن

(١) عم ذشقيير وعم ذيسرن تعني معبد الاله عم او تمثل الاله عم في مدينة شقيير ومدينه يسرن .

(٢) ذات ظهران وذات رحبن من اوصاف الشمس .

(٣) أن ما اوردها في مبحثي معين وسبأ مستمد من نصوص هذين الاثريين ودراساتها ايضاً على ما يستفاد من كتابي جواد علي وجرجي زيدان .

المحتمل ان يكون في النصوص التي عثرت عليها البعثة الاميركية اشياء كثيرة تساعد على زيادة المعرفة عن هذه المملكة بل عن المنطقة الجنوبية الغربية من جزيرة العرب بوجه عام .

كذلك نرى ان نوه في هذه القائمة بما تدل عليه كثرة النقوش من اتساع نطاق القراءة والكتابة والرغبة في تسجيل الاعمال العامة والخاصة ، وما في ذلك من دلالة ثقافية هامة .

ونود ايضاً ان نلفت النظر الى التلمحة العربية البادية على اسماء ونصوص القتبانيين وتطورها شيئاً فشيئاً نحو العروبة الصريحة ومشايتها في ذات الوقت لاسماء ونصوص المعينيين والسبئيين واتصالها بها . ففي كل هذا دلالة على وحدة الارومة والزمن من جهة ونواة للعروبة الصريحة التي اخذت تتكامل منذ القرن الثالث الميلادي من جهة اخرى .

الدولة الحضر موتية (١)

- ١ -

نشوء دولة حضر موت وامدها

ومن الممالك المهمة التي كانت قائمة في جنوب الجزيرة اثناء قيام دول معين وسبأ وقبيلان المملكة الحضر موتية . وقد ذكرها كل من ايراثوسينس وثيوفراستوس وبلينوس وبطليموس وورد اسمها في الاصحاح العاشر من سفر التكوين الذي دون قبل الميلاد المسيحي بعدة قرون كاسم ابن من ابناء يقطان ..

ولقد عثر على كتابات ونقوش ونقود وادوات خزفية وفخارية ومعدنية كثيرة استدل منها على اشياء كثيرة في شؤون هذه المملكة وملوكها واعمالها وقوانينها .

ويستفاد من ذلك ان هذه البلاد كانت خاضعة للملوك معين في القرن الحادي عشر قبل الميلاد ثم انفصلت عنهم وقام على رأسها ملك مستقل وشقيق الملك معين في الوقت نفسه مما يدل على ان الشقيقين تنافسا على الملك او توافقا على قسمة المملكة بينهما واستقلال كل منهما في قسم منها . والملكان هما اب يدع ملك معين وشهر على ملك حضر موت ولدا صديق ايل ملك المملكة التي كانت تشمل معين وحضر موت . ثم عاد القسمان فاتحدا في تاريخ غير معروف وظلا متحدين الى القرن السابع قبل المسيح ثم انفصلا ثانية . وليس في الآثار ما يدل على ما اذا كان ملوك القسمين في هذه المرة من اسرة واحدة والانفصال من نوع الاول ام كان لحساب اسرة جديدة برزت وبسطت سلطانها على حضر موت . وقد ظل هذا الكيان الجديد الى اواخر القرن السادس قبل الميلاد ثم خضع للمملكة سبأ . غير انه قام في القرن الثاني قبل الميلاد زعيم من قبيلة يهر اسمه رب شمس بحركة ادت الى بروز حضر موت مرة اخرى كمملكة مستقلة . وقد اصلح هذا الملك الجديد مدينة شبوه واتخذها عاصمة له ؛ وقد ذكرت المدونات القديمة انه كان في هذه المدينة خمسون هيكلًا مما يدل على ما كانت عليه ضخامة عمران .

وقد زارها فيلبي في اواسط هذا القرن وذكر ان فيها آثاراً كثيرة لقصور وهياكل وسدود تدل على انها كانت مدينة ضخمة العمران .

(١) يحتوي هذا العنوان مقتبس من العرب قبل الاسلام لجواد علي ج ٢ ص ٦٤ - ٩٠

ولقد استمرت هذه الدولة قائمة الى اواخر القرن الثالث بعد الميلاد ثم خضعت او اندمجت نهائياً في الدولة الحميرية السبئية .

وهكذا يكون قد وجد في القسم الجنوبي الغربي من الجزيرة في ظرف واحد ممالك معين وسبأ وقحطان وحضرموت تمارس سلطتها استقلالاً او مع الخضوع لدولة من هذه الدول بالإضافة الى عشرات بل مئات الامارات والمشيخات الثانوية التي كانت تتمتع باستقلال ذاتي واسع او ضيق ويتلقب رؤساؤها بلقب ملك او قيل او ذو او كبير الخ .

- ٢ -

مكارب وملوك حضرموت

وكما كان شأن ملوك سبأ وقحطان كان شأن ملوك حضرموت من حيث انهم كانوا يتلقبون في بدء الامر بلقب مكارب ثم صاروا يتلقبون بلقب الملك .

وقد رتب الأثريون قوائم باسماء مكارب وملوك هذه المملكة استناداً الى مائة عثر عليه من نصوص ونقود . وفيها خلاف وثغرات كقوائم الدول الاخرى بطبيعة الحال . وهذه قائمة رتبها هومل فيهم :

شهر علن بن صدق ال - معدي كرب - سمه ينع - يدع ال بين - امينم - يدع اب غيلن - يدع ال بين - يدع اب غيلن - العزيليظ - يدع اب غيلن - سلفى علهان - وب شمس - يدع ال بين - اب يزع حي ايل .

وفي رأي هذا الاثري ان مملكة حضرموت انتهت ككيان دولة مستقلة واندمجت في مملكة سبأ في القرن الثالث قبل الميلاد .

اما فيليبي فقد رتب قائمته على الوجه التالي :

صدق ايل ملك حضرموت ومعين ١٠٢٠ ق م

شهر علن بن صدق ايل ملك حضرموت ١٠٠٠ ق م

معدي يكارب بن اليعع ينع ملك معين وحضرموت ٩٨٠ ق م

حيث يخمن فيليبي ان حضرموت انضمت الى معين في عهد هذا الملك وظلت الى

حوالي سنة ٦٥٠ ق م ثم انتقلت وتولى عرشها الملوك التالون :

السمع ذيبان بن ملكي كرب - يدع ال بين بن سمه ينع ٦٥٠ - ٥٩٠ ق م .

ثم أصبحت حضرموت على رأي فيلي جزءاً من مملكة قتيان حياً ومن مملكة سبأ
جنباً آخر إلى سنة ١٨٠ ق م حيث برزت مستقلة مرة أخرى وتولى عرشها هؤلاء
الملوك :

رب شمس - بدل ال بين بن رب شمس - الفع ريم ريام يدع ايل - يدع اب غيلن
بن يدع ال بين - العز بن يدع اب غيلن - يدع اب غيلن بن امينم - يدع ال بسين بن
يدع اب غيلن - عم ذخر - العزيز عم ذخر - الهان علهان بن العز - العز بن الهان -
اب يدع مكرب - يرعش بن ابن يزع - علهان يرعش .

وقد حكم هؤلاء الملوك من ١٨٠ ق م إلى ١٢٥ ب م . ويرى فيلي ان وضع الدولة
غدا غامضاً منذ سنة ١٢٥ ب م حتى سنة ٢٩٠ ب م وإن كان لا يسوغ القول إنه لم
يكن لها كيان مملكة خاص . غير ان هناك نقوشاً تدل على انها خضعت نهائياً سنة ٢٩٠
ب م للملك سبأ وذو ريدان فاضيف الى لقبهم في هذا الظرف اسم حضرموت واصبحوا
يلقبون بلقب « ملك سبأ وريدان وحضرموت » .

وقد سجل على لوح نحاس (١) اسم ملك من ملوك حضرموت هو « صندق ذخر
بر اب الشرح » وذكر النص المدون على هذا اللوح ان هذا الملك قدم نذوراً لسين وعلم
وعثر لخيره وخير شبوه وخير اولاده وافراد أسرته . ووردت في الكتابة اسماء قبائل
يظهر انها كانت خاضعة لحكمه وهي مرثد واذهن وينعم في حين ان اسم هذا الملك لم يرد
في القوائم السابقة . ولا يعلم اذا كانت حضرموت في عهد هذا الملك قد نزلت عن مرتبة
المملكة المستقلة ذات الكيان البارز الى ادارة اقطاعية خاضعة لدولة اخرى وان تلقب
رئيسها هذا بلقب الملك هو من قبيل التسميات التي كانت شائعة حيث كان بعض امراء
وزعماء المقاطعات والمشيخات الثانوية يتلقبون بهذا اللقب على ما مر امثاله في الكلام
عن سبأ .

- ٣ -

صور عن الدولة الحضرموتية مقتبسة من نقوشها

ومما عرف من النقوش الحضرموتية انه كان كلاً ولي عرش الملكة ملك جديد ذهب

(١) هذا اللوح موجود في المتحف البريطاني على ما ذكره جواد علي

هو وكبراء دولته الى حصن اسمه « انود » فاقام حفلة تتويجه وتلقب بلقب الملك فيه وقرب بهذه المناسبة القرايين للآلهة . وكان ملوك وامراء الدول والمشيخات المجاورة او الخاضعة يرسلون نواباً عنهم لشهود الحفلة وتهنئة الملك الجديد .

وقد وجدت كتابات ذكرت قيام هذه الحفلات بمناسبة جلوس ملوك عديدين في مختلف الظروف . فجاء في احداها ان العز يلط ملك حضرموت بن عم ذخرسار الى حصن انود ليمتلقب بلقبه (١) ، وانه شهد حفلة التلقب رجلا من اشراف حمير بعث بهما ثارن يعب يهنم ملك سبأ وذو ريدان . ومن سجلت اسمائهم من شهود الحفلة يضرم بن نهدم ورقشم بن اذمر والم بن يحلل واب كرم ذو دم » وذكر انهم ذهبوا لمساعدة سيدهم العز يلط حين ذهب الى حصن انود لاعلان نفسه ملكاً ، مما يدل على انهم من رجال الدولة او البلاط . وقد سجلت كتابة اخرى خبر مثل هذه الحفلة لاعلان لقب « رب شمس » وهو اول ملوك الاسرة الجديدة الاخيرة مما يدل على ان هذه العادة ظلت مستمرة من عهد اسرة الى عهد اسرة اخرى . ومما ذكر في الكتابة ان رب شمس ذبح ٣٥ ثوراً و ٨٢ خروفاً و ٢٥ غزالاً وثمانية افهد قرباناً لهذه المناسبة . وليس في الآثار ما يساعد على معرفة صفة هذا الحصن المختار لهذه الحفلات . ومن المحتمل ان يكون فيه معابد لآلهة رئيسية من آلهة حضرموت وان تكون الحفلات فيه مزيجاً من المظاهر الدينية والسياسية .

ومن الكتابات الحضرموتية التي عثر عليها كتابة سجلها رجل اسمه شكمم سلحن بن رضون ذكر فيها ان مكرب حضرموت « اب يزع » كلفه الاشراف على بناء حصن قلت وغيره من الحصون واقامة استحكامات لصد الحميريين الذين كانوا يحاولون اخضاع حضرموت لسيادتهم وان المكرب وضع تحت امرته عشرين رجلاً للاشراف على العمل وامره بانجازه خلال ثلاثة اشهر قتم العمل كما رسم ، كما انه انشأ استحكامات ساحلية لحماية البر من الهجوم الذي كان يقوم به العدو من جهة البحر ، وانه اقام حصوناً على تسانين بارزين في البحر كما حصن المنفذ المؤدي الى وادي ابنة ومدينة مينعة وبنى لها سوراً قوياً وبرجين واما كن يلتجىء اليها الجنود ، مما فيه دلالة على ما كان من تشاديين دولتي حضرموت وسبأ في عهد الحميريين الذين برزوا في اواخر القرن الاول قبل الميلاد وعلى ان حضرموت كانت قائمة كدولة مستقلة في هذا الظرف .

(١) هذا نص هذه الجملة بالحضرموتية « العز يلط ملك حضرموت بن عم ذخرسار ذندان انود هس لقب » .

ومن الكتابات كتابة يمجّل فيها الحمد والشكر الى إلهه مع ذكر تقديمه تمثالين من الذهب لمعبده في نعلم لنجاة سيده وشفاء من الجرح الذي أصابه في المعركة التي وقعت في مدينة ثبير الواقعة في ارض يجر من الممالك التي وقعت بين شمر ذو ريدان واب انس من قبيلة مهزم وامراء خولان وملك سبأ وملك حضرموت . وليس في الكتابة تفصيل لاسباب وظروف هذه المعارك التي تدل على انها وقعت بين جموعات متحالفة ضد بعضها في طرفها الواحد ملك سبأ وفي طرفها الثاني ملك حضرموت .

- ٤ -

صور عن حضرموت في المدونات القديمة

ولقد ذكر بليزوس المؤلف الروماني اسمي « سابوتا » و « اراميتا » اللذين يظن انها تعينان « شبوه » و « حضرموت » وقال انها تقع في منطقة جبلية وان على مسيرة ثمانية ايام منها تقع منطقة اللبان ، وان فيها غابات كثيفة وان شعبها احتكر تجارة اللبان والطيب فادى ذلك الى ارتفاع ثمنها ارتفاعاً فاحشاً .

وقد ذكر بطليموس ان مدينة غان اوقان (Gane) هي ميناء حضرموت ، ووصفها اريانوس بانها الميناء الرئيسي لملك ارض اللبان الذي سماه (Leise) (الغز) وقال ان عاصمة هذا المالك هي Sabatie (شبوه) . حيث يقصد مملكة حضرموت . ومما ذكره هذا المؤرخ ان هذه المادة الثمينة تجميع في ميناء غان وتصدر منها الى الخارج اما برأ مع القوافل او بجرأ . وقال ان هذا الميناء يقع الى شرق عدن ، وفي كل هذا دلالة على ان المملكة الحضرموتية كانت قائمة ككيان مستقل في حياة هذا الكاتب ، وان سلطانها كان يشمل معظم القسم الجنوبي الساحلي على البحر الهندي الى عدن على البحر الاحمر .

ولقد ذكر نورمان نقلا عن اغاثرسيس ان قصور الحضارمة كانت قائمة على الاساطين المحلاة بالذهب وانهم كانوا يعلقون على ابواب منازلهم صحائف الذهب المرصعة بالجواهر ويحيطون منازلهم بحوائط غناء وان لديهم الموائد والاسرة من الفضة والرياش من افخر الانسجة (١) . مما فيه دلالة على ما كانت تتمتع به هذه المملكة من ثروة ورفاه .

(١) تاريخ حضرموت السياسي الجزء الاول صلاح البكري .

ويرجع ان عاصمة حضرموت القديمة قبل شبوه كانت مدينة مينعة التي مر ذكرها في الكتابة المسجلة في عهد الملك اب يزع . وقد ذكرت في كتابة اخرى جاء فيها ان الملك يدع ايل بن سم على رم اسوارها . وذكرت في كتابة ثالثة جاء فيها ان « هيل بن شجب » بنى سوراً للمدينة وجدد ابوابها وانشأ فيها بيوتاً ومعابد اخرى واتم عمله من بعده ابنه « صدق يد » فاعلى سور المدينة واحكمه . ومن المحتمل ان يكون هذا الرجل وابنه مهندسين او مقاولين قاما بالعمل على حساب الدولة .

وفي النصوص التي اشرنا اليها في سياق الكلام عن ملكتي سبا وقتبان شيء متصل بتاريخ هذه المملكة السياسي والحربي مما لا نرى اعادته هنا . واذا كانت النصوص لا تمد المؤرخ بايضاحات كثيرة عن شؤون هذه المملكة كما فعلت بالنسبة لسبا وقتبان فالراجح ان مرد هذا هو الى كونها لم تتمتع بسلطانها وكيانها باستمرار كما تمتعت هاتان المملكةتان .

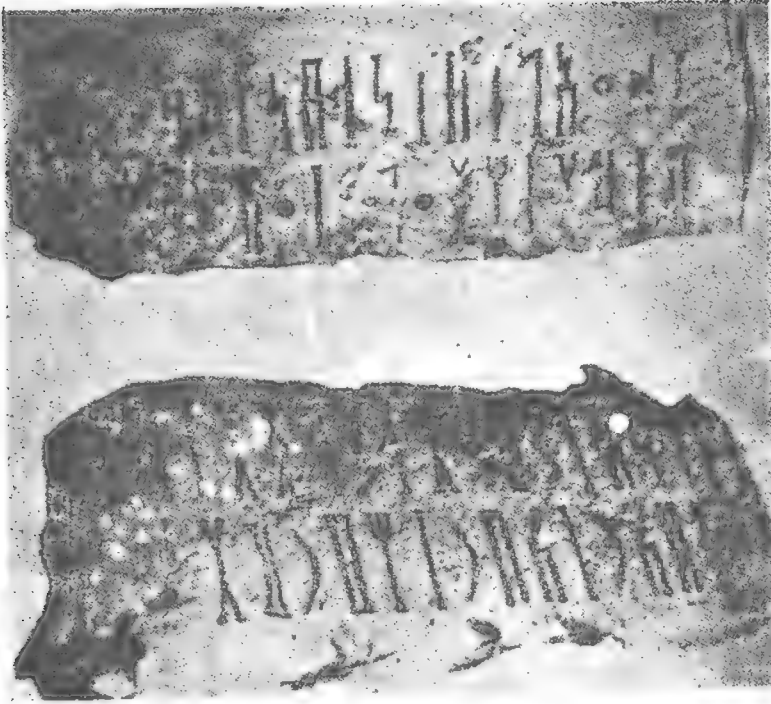
- ٦ -

عاد والاحقاف في القرآن

هذا ، ويحسن ان نشير في هذا المقام الى ما ورد في القرآن من فصول عديدة عن عاد قوم هود في الاحقاف التي تقع في شمال منطقة حضرموت اليوم . ونقل منها الفصل التالي على سبيل المثال :

« إذ قال لهم اخوهم هود ألا تتقون إني لكم رسول امين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من اجر إن اجري إلا على رب العالمين . أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون . واذا بطشتم بطشتم جبارين . فاتقوا الله وأطيعون . واتقوا الذي امدكم بما تعلمون . امدكم بأنعام وبنين . وجنات وعيون . إني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم . » الشعراء ١٢٤ - ١٣٥

وهذا الفصل وامثاله لم ترد في القرآن للقصة والتاريخ وانما وردت للعتبة والتذكير . وقد كان السامعون للقرآن يتداولون على ما تلهمه اخبار عاد وبنبيهم هود جيلاً عن جيل ، ويرون آثارهم في رحلاتهم على ما تدل عليه آيات قرآنية عديدة منها هذه الآية :



كتابة عثر عليها في شيوخه بحضر موت دونها « يدع ال بني بن يدع اب ملك
حضر موت لمناسبة بناء سور شيوخه . وذكر في الكتاب اسماء الاله ذات خشول
« ذات خشولم » وذات حمى « ذات حميم » للتبرك



مواد زينة عثر عليها في احدى مقابر الحريضة بحضر موت ..

« وعاداً وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين » العنكبوت ٢٨

ويلفت النظر الى ما احتواه الفصل من بناء الآيات في كل ريع والى اتخاذ المصانع ، فالآيات هنا بمعنى العلامات او القلاع والريع بمعنى ذروات الجبال والهضاب والمصانع بمعنى صهاريج المياه او خزاناتها او سدودها ، وهذا الوصف متطابق مع ما عرف من مآثر ونشاط القسم الجنوبي من جزيرة العرب وعمرانه وجناته ومياهه وخزاناته وقوته الخ .. والراجع ان تجار الحجاز كانوا يرون في الاحقاف اطلالا او منشآت قائمة ويعرفون بالتداول انها باقية من قوم عاد كما يعرفون بالتداول كذلك اشياء كثيرة عن نشاطهم ومآثرهم .

ولقد اطنب كتاب العرب القدماء في وصف ملوك عاد وعمران بلادهم ومدنهم وجناتهم وذهبهم وجواهرهم اطناباً كثيراً . ومنها شيب هذا الاطناب بالمبالغة فان فيه كثيراً من الحقائق المؤيدة يراهن الاطلال والآثار القائمة .

فاما ان تكون هذه « العاديات » اصلا او فرعاً للدولة الحضر موتية او للدولة المعينية التي هي اصل للدولة الحضر موتية ، واما ان تكون شيئاً آخر قبلها لعل الآثار المكتشفة حديثاً والتي لم تعلن نتائج دراستها تجلوها ..



« تمثال لصيدق ايل فرعم بن معدايل ملك اوشان »

دول وامارات وقبائل مهمة اخرى في جنوب الجزيرة

وبالاضافة الى الدول الخمس التي سبق الكلام عنها والتي ساعدت الآثار والمدونات القديمة على معرفة كثير من شؤونها فان هناك امارات وقبائل مهمة اخرى وردت اسمائها في النقوش وان لم تمدنا بشيء كثير عنها كما امدتنا عن الدول الخمس .

- ١ -

المملكة الاوسانية وآثارها (١)

منها « المملكة الاوسانية والشعب الأوساني »

ويظهر من الآثار ان هذا الشعب كان خاضعاً في بدء الأمر لمملكة قتيان ثم انفصل عنها في ظرف من الظروف واستقل في السلطان ، وشمل سلطانه بالاضافة الى بلاده الأصلية اراضي وشعوب او قبائل دمس ودنت وبنى التي كانت هي الاخرى في نطاق سلطان قتيان .

وقد عثر على نص ذكر فيه خبر زحف قام به الملك السبئي كرب ايل وتر على بلاد أوسان وقهره ملكها مرنوم واحتلاله مدناً أو مناطق تابعة له مثل همان وانغم وحبين ورياب ورثا وجردان ودنت . وكان ملك قتيان حليفاً لسبأ في هذا الزحف انتقاماً من اوسان التي تمردت عليها وخرجت عن سلطانها . وقد كافأه الملك السبئي فاعاد اليه بعض ما استولى عليه من أقاليم أوسان .

وعلى قلة ما اكتشف من الكتابات الاثرية عن اوسان فقد وجدت عدة تماثيل لبعض ملوكها تعد من انفس ما عثر عليه من نفائس جزيرة العرب واولى تماثيل تصل اليها من تماثيل ملوك العرب . وقد كتبت على قاعدة كل تمثال اسم الملك الذي يمثل . فمنها تمثال كتب عليه « يصدق ايل فرعم ملك اوسن بن معد ايل » ومنها تمثال كتب عليه « زيدم

مسلن بن معد ايل « ومنها تمثال كتب عليه « معد ايل سلحن بن يصدق ايل ملك اوسن »
ومنها تمثال كتب عليه « يصدق ايل فرعم شرح عت ملك اوسن بن معد ايل سلحن
ملك اوسن » . وقد ورد اسم الملك يصدق ايل فرعم شرح عت بن ودم الأوساني في
كتابة سجل فيها خبر تقديمه معمر لاله دون ذكر اسم الاله . والراجح ان المقصود
بكلمة معمر مذبح او مبخرة . وقد ذكر اسم الملك معد ايل سلحن بن زيدم في كتابة
تشير الى معاهدة عقدت بينه وبين زران الذي يظن انه احد ملوك الحبشة او امير مشيخة
من المشيخات المجاورة . وورد اسم « يثع غيلن لحي » محفوراً على تمثال من المرمر . وعثر
على كتابة أوسانية لأمرأة اسمها رنده جاء فيها انها قدمت لسيدها يصدق ايل فرعم شرح
عت ملك اوسن تمثالا من الذهب ليحفظ في معبد نعمان كما امرها سيدها بذلك . وقد
عثر على كتابات اوسانية عديدة تذكر مثل هذا العمل مما يدل على انه عادة دينية شائعة
في بلاد اوسان او في الخطة اليانية كلها حيث تقدم تقدمات باسم الملوك من قبل البارزين
من الشعب لتحفظ في المعابد .

وهذا الفن الأوساني المتمثل في التماثيل النفيسة وهذا العدد من الملوك الاوسانيين مما
يدل على ان هذه المملكة شغلت حيزاً مهماً في حقبة السلطان السبي . ومن المحتمل كثيراً
ان يكون لها مخلفات اثرية اخرى لم تكتشف او لم تدرس وفيها تفصيل اوفى هن
مختلف شؤونها .

— ٣ —

« حملان »

ومنها اماره او قبيلة حملان . وقد قرىء في نقش مشوه اسم حملان بعد جملة « كبر
اقيان » التي تعني زعيم المنطقة او القبيلة كما عثر على هذا الاسم في كتابات عديدة اخرى
ترجع الى دور الأسر الحمدانية التي جلست على عرش سبأ في القرن الرابع قبل المسيح
وبعده في سياق الحروب التنافسية التي كانت مشتدة بين الأسر البارزة حول هذا العرش،
مما فيه دلالة على ما كانت هذه القبيلة او الامارة تشغله من حيزهم .

وقد تحدث الحمداني في كتاب الأكليل عن حملان وقسال إنه كان في غرب صنعاء

- ٣ -

سخيم (٢)

ومنها امارة او قبيلة سخيم التي عثر على كتابات عديدة ورد فيها اسمها وتدل على انها كانت تتمتع بمنزلة محترمة وتشغل حيزاً مهماً . وكانت تملك ارضين واسعة تؤجرها الى من دونها من القبائل يجعل سنوي وخدمات تؤديها لزعماؤها . وقد اعترف ملوك سبأ لها بالرئاسة على هذه القبائل . وكانت مدينة شبام تسمى باسمها « شبام سخيم » حيث كان لها فيها النفوذ والزعامة . وكان لها فيها ندوة « مزود » يتداول زعمائها فيها في شؤون السلم والحرب . وكان منها اقبال حكموا قبائل اخرى ، وقام رجال منهم باعمال عمرانية عديدة مثل فتح طرق وحفر قنوات ومسابيل مياه . ومن اسماء امرائهم التي ذكرت اسمائهم واعمالهم في الآثار « يشرح ايل اسرع » ، وقد ذكر اسمه في كتابات عديدة وجاء في احداها انها ساعد عشيرة من العشائر التابعة لسخيم على بناء مزود لها .

ومن القبائل التي عرف من الكتابات انها كانت تابعة لنفوذ سخيم « سمعي وذ مليحم وخساً وعقرب وبرسوم » التي كانت تنزل في منطقة شبام . وقد وصفت احدى الكتابات خساً وعقرب بصفة « آدم بن سخيم » اي اتباع بني سخيم او خولهم او زلمهم بتعبير اليوم . وقد جاء ذكر هذه القبائل وغيرها في كتابة اخرى وجاء بعدها جملة « امراهمو سخيم » اي وامرائهم بنو سخيم . وقد عثر على نص ذكر فيه اسم يجعر بن سخيم بصفته قيلاً من اقبال سمعي . وورد اسمه مع اسماء عدد من الاقبال شوهدت حروفها بمناسبة تقريبهم الى معبد الاله تالب ريام خمس تماثيل ليمن على الملك الشرح يحضب ملك سبأ وذو ريدان وعلى ابيه وتر وعليهم وعلى بيتهم بالعافية والخير العميم ، مما يدل على ان الكتابة كانت في عهد هذا الملك اي في اواخر القرن الثاني قبل المسيح وان هؤلاء الاقبال كانوا تحت سلطانه .

- ٤ -

خولان (٣)

ومن القبائل التي ورد ذكرها في الآثار امارة وقبيلة خولان . وقد احتوى نص

(١) المصدر السابق ص ١٨٩ والمخلاف تعبير عني بمعنى الامارة

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٣

(٣) المصدر السابق ص ١٩٨



« تهال الملك معدايل سلحن بن مصيدق ايل ملك اوسان »

مبتور خبر حرب مع ملك سبأ اشتركت هذه القبيلة فيها وكان يرأسها « ذو خولان » اي اميرها . واحتوى نص آخر خبر هجوم سبئي على قافلة معينة اشترك الخولانيون فيه الى جانب السبئيين مما فيه دلالة على انها كانت من القبائل المهمة القوية والبارزة . وقد ورد ذكر هذه القبيلة في احد النصوص مع اسم ردمان الذي يظهر انه اسم لقبيلة اخرى كانت حليفة لها او متحدة معها .

ومما عرف من النصوص ان الأمرة على هذه القبائل المتحالفة كانت لاسرة معاهر « ذو معاهر » التي يظن انها خولانية ، وانه كان لهذه الاسرة ارضون زراعية واسعة وخصبة في وادي ضفح ووادي آخر ووادي مزريق وموقع اسمه ذات حرض ومواقع اخرى . وقد ذكر الهمداني في الاكلیل قصراً منسوباً لذي معاهر ووصفه بأنه من القصور العجيبة .

وكانت منازل خولان جوار مأرب وصرواح . ومن اسماء الاقوال المعاهرين التي قرئت في النصوص « كرب اسرع ونصر يهحمد » وقد جاء في النص الذي ذكر فيه نصر خبر قيامه باصلاح ارض وادي مانت حيث حفر أباراً وانشأ سدوداً وزرع اشجاراً وبذر -حبوباً وسجل ما اصلحه ملكاً خاصاً له واعان ذلك للناس في شهر « صيد من سنة مئة واربع واربعين » وقدر الاثريون ان هذه السنة تتابل سنة تسع وعشرين بعد المسيح . وقد قال جواد علي في الجزء الثاني من كتابه تاريخ العرب قبل الاسلام ، ان هذا النص هو اول نص مؤرخ بتاريخ نعرفه وصل الينا بالمسند من العربية الجنوبية ولعله اقدم نص عربي مؤرخ بتاريخ معروف على الاطلاق .

ويظهر من هذا النص ان هذا القيل (الامير) كان تابعاً لذلك حضرموت العز يليط حيث ذكر صاحبه اسم هذا الملك بوصفه سيده .

ويستفاد من النصوص ان خولان ساهمت في الصيال التنافسي الذي وقع بين الاسرة الميثدية والاسرة البتعية وكانت في البدء ضد عليهان تهفان البتعي ثم انقلبت ضد الشرح محضب الميثدي ..

- ٥ -

ردمان (١)

وقد عثر على نقش يستفاد منه ان بعض بطون قبيلة سمعي التي ذكرنا قبل انها كانت

وقد عثر على كتابة ورد فيها اسم ردمان مستقلاً ايضاً وعليهم قيل (امير) من غير ذي معاهر مما يدل على ان القبيلتين انفصلتا في ظرف من الظروف . وقد دون هذه الكتابة أو امر بتدوينها القيل نفسه ونعت نفسه بانه « قول ومخرج قبيلة ردمان صاحبة سلفن » . وعثر على كتابة اخرى تدل على ان ردمان اندمجت في الحرب التنافسية التي اشتدت بين ملك سبأ وحمير في القرن الاول قبل المسيح . وسجلت الكتابة الشكر الى الاله تالب ريام لأنه من على اصحابها بالسلامة والعافية والنجاة في الحرب التي وقعت بين سبأ وحمير .

وقد ذكر اسم ردمان كل من استرابون وبلينيوس وقال الأخير ان عاصمتهم « مارسيابا » حيث يدل هذا ايضاً على ان ردمان انتقلت عن خولان وبرزت كصاحبة كيان خاص مرموق وان كانت تحت سلطان دولة سبأ الأعلى كغيرها من الامارات النانوية .

- ٦ -

بتع (١)

ويستفاد من النصوص ان قبيلة بتع التي ينتمي اليها برم ايمن وعلهان تهفان اللذان اعتبرا مغتصبين لعرش سبأ على ما ذكرناه في فصل سبأ تتمتع بنفوذ واسع ومكانة محترمة قبل مناداة برم ايمن بنفسه ملكاً على سبأ ، وكان لها ارضون واسعة تؤجرها لقبائل اخرى ، وكانت هذه العشائر تعتبر توابع لها وتوصف بوصف « آدم بتع » اي خولها او رجالها او زملها بتعبير اليوم .

وكان من بتع اقيال عديدون تولوا حكم هذه القبائل عرف من اسمائهم « بارقم ودرج ال يحضل وهوف عثت ولحي عثت اوكن ومرثد غيلان اسعد ونشأ كرب وتر ونشأ كرب يزان ونشأ كرب تهفان يجعر ورب شمس نمران وردم رحب وعريب بن يمجد وسعداوم نمران وسفهان يهصبح وشرح يهحمد وشرح غيلان وشرح ايل وشرح عث » ، حيث عثر على نصوص دونها بعض اتباع هؤلاء الاقيال يذكرونهم بالخير ويشيدون بفضلهم ويدعون لهم بطول العمر والخير والبركة .

[١] المصدر السابق ص ٢٦٥

خاضعة لسخيم كانت من اتباع بتع كما عثر على نص يستفاد منه ان بعض بطون قبيلة حملان التي ذكرناها قبل كانت كذلك من اتباعها ، وهذا النص مدون من قبل جماعة من حملان لمناسبة بنائهم منزل ، وقد سجلوا به شكرهم للاله تالب ريام على توقيقه واشادوا بتساعده رؤسائهم وسادتهم ورئيسهم صاحب ارضهم سخيان يهصبح من بتع وبمساعدة قبيلتهم الساكنة في مدينة حاز .

وكانت بطون قبيلة بتع تسكن مدينتي حاز وريام ومنطقتيهما . وبرم ايمن الذي نادى بنفسه ملكاً على سبأ هو من الذين كانوا يسكنون في حاز .

وظاهر من هذا انه كان لهذه القبيلة نفوذ واسع وكيان بارز . ولا شك في ان هذا هو الذي حفز برم ايمن الى منافسة الاسرة المرنثية على العرش السبئي وجعله ينادي بنفسه ملكاً لسبأ ..

- ٧ -

سمعى (١)

ويستفاد من النقوش ان قبيلة سمعى التي مر ذكرها كانت تشغل حيزاً مهماً وتتفرع الى فروع عديدة متوزعة في انحاء مختلفة . ومنها ما كان تابعاً لقبائل اخرى وخاضعاً لاقبال من هذه القبائل مثل سخيم وحملان وبتع على ما ذكرناه قبل ومنها ما كان مطافاً ذا كيان خاص ومستقل .

وقد قرئت اسماء تهفان ذيبين بن يسمع ايل ابن سمه كرب ، وسمه افق ابن سمه يفع بوصفهما ملوكاً لسمعى مما فيه دلالة على الحيز المهم الذي كان يشغله بطون سمعى المستقلة .

وقد عثر على نص دونه تهفان افتتح بالدعاء للاله تالب بان ينعم عليه ويبارك له ولاولاده زيدم ويزد ايل واولادهما واملاكهم جميعاً ويبتهم المسمى بيت « بعد » وارضهم ارض تالق والاملاك التي ورثها عن الملك سمه افق بن سمه يفع ملك سمعى من اراض زراعية وقرى ومدن وارض نعمات وغيرها . وذكر في هذا النقش بنورا بان وعم شفق وهم من الاقبال كحلفاء لقبيلة سمعى مما فيه الدلالة على ما كانت هذه القبيلة تتمتع به من كيان مستقل واب كان خاضعاً لسلطان سبأ الاعلى على ما يستفاد من النقش ايضاً .

[١] المصدر السابق ص ٢٦٨



« تمثال زیدم سیلان بن معدایل ملک اوسان »

وعشيرة مرثد التي ينتمي اليها ملوك الأسرة الثالثة من الاسر السبئية من العشائر المهمة التي ورد ذكرها كثيراً في نقوش سبئية عديدة .

ومما تفيد هذه النقوش ان هذه العشيرة كانت تنزل قرب همدان حيث كان لها اراض واسعة غنية يستأجرها افرادها وبطونها من المشايخ والامراء . وقد كانوا يستأجرون اراضي اخرى في هذه المنطقة من اوقاف الاله المقة ويدفعون اجرتها لكهان معبد هذا الاله ، وانه كان لهذه العشيرة مشيخات او امارات في مدينتي عران وهران . حيث وصف بعض زعمائهم وفروعهم بوصف ذي هران وذي عران .

ومن ذكروا في النقوش زعيم اسمه ريم . وقد سجل في النقش الذي ورد اسمه فيه خبر تقربه الى الاله المقة ذي عران - اي اله مدينة او مقاطعة عران - بنذر شكر باسمه واسم شعبه ذي عران .

وقد سجل في نقش آخر خبر تقديم جماعة من بني ارقط نذراً للاله المقة ذي هران - اي اله مدينة او مقاطعة هران - تمنوا به المعادة لهم ولأمرائهم بني مرثد . وسجل نقش آخر من قبل جماعة من بني نبشم يذكر فيه خبر تقديم نذر الى الاله المقة ذي هران في زمن اميرهم يثعم من مرثد ، ونقش آخر من احد بني اخرف ذكر فيه اسم يفرع كرئيس من رؤساء مرثد ، وخبر تقديمه النذر الى سيده المقة ذي هران . حيث يدل هذا على انه كان لقبيلة مرثد نفوذ وانتصار واتباع . وهو ما جعل بعض زعمائها يتطلعون الى الملك ويسعون في سبيله ويتوصلون اليه كما هو المتبادر .

اسماء قبائل عديدة اخرى (١)

وهناك الى هذا اسماء قبائل كثيرة اخرى ورد ذكرها في النقوش المعينية والسبئية والتبانية والحضر موتية والافسانية ولم يرد بيان شاف عن ادوارها ومراكزها في الاحداث

[١] العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٢ ص ١٧٢ - ١٧٦

[١] المصدر السابق ص ٩٣ - ٢٧٥

الجارية في عهود الدول التي كانت فيها مثل قلب ، ودهسم ، وكحد ، وهر ، ومزجم ،
وبقلم ، وهورن ، وملك ، وهير ، وذران ، ويجر ، وغيلان ، وشهر ، وذرحان ،
وذمران ، وبوسان ، وشحط ، وورقان ، واحرم ، وباجم ، وشتم ، واهربان ، وشنخز ،
وعلسن ، وحاشد ، ومذمر ، ورغن ، وذبحان ، وذكران ، وردا ، وشمر ، وشبعان ،
وليسان ، وعرقان ، وبرصم ، وقشمم ، وبين ، وجدن ، وجرب ، ويرم ، ويفعان ،
ومريهان ، وذبيان ، واذهن ، وينعم ، ومعهر ، ورمي ، ومريين ، ويهار ، واشسد ،
وبران ، وقدران ، وحزفر ، وكنهو ، وحنكان ، وحنان ، وعود ، ومهامرم ، وعوهم ،
واربعن ، وارفظ ، ونبس ، وعبدم ، وكتبنم ، وجلجم ، وصوفان ، ويهفرع ، واشيب ،
وقربن ، وحيثم ، وذبحان ، ومعن ، وابكل - ونخال ، وزحرن ، وددن ، ومخظرن الخ .
ويلفت النظر الى اللمحة العربية الصريحة التي على اسماء القبائل والشعوب المذكورة .
ولقد استمر وجودهم على ما هو المتبادر في نطاق الدولة الحميرية التي اخرنا الكلام عنها
الى القسم الثاني لانها كانت في دور العروبة الصريحة مع تطور في اسمائها حتى غدت اعلاماً
على اصحابها حينما تم بروز شخصية العرب الصريحة في الجنوب . وكان ينبغي ان يذكروا
في القسم الثاني وفي نطاق هذه الدولة . غير اننا ساكناهم في هذا القسم لان كيانهم كان
ممتداً الى اجيال او قرون عديدة قبل قيام الدولة الحميرية وبرز العروبة الصريحة بصورة
قوية اولا ومتصلا بالدولة السبئية الأولى واحداثها ثانياً (١) .

(١) مرجع البند ١ - ٨ هو تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٢ ص ٩٣ - ٢٧٥

لمحة في العقائد الدينية (١) في جنوب الجزيرة

- ١ -

لقد نوهنا بالآثر المتنوعة لسكان جنوب الجزيرة قبل دور العروبة الصريحة خلال المباحث السابقة بالقدر الذي ساعدت عليه النقوش والمدونات القديمة الراهنة ، وبالايجاز الذي ترسمناه .

ولقد كان كثير من النقوش التي عثر عليها نقوش دينية ، حتى إن كثيراً مما اوردناه في المباحث السابقة من اسماء الملوك واحداثهم قد اقتبست منها . وفي هذه الملمحة سننوه بما احتوته هذه النقوش من الشؤون المتصلة بالعقائد الدينية لنتم الصورة بقدر الامكان .

وننبه على ان اقتضاب هذه النقوش لن يساعد على رسم صورة وافية عن هذه العقائد ، وانه ليس من مناص الاكتفاء بما تساعد هذه النقوش على رسمه من صورة مهما تكن ناقصة فانه يمكن ان يبان منها خطوط عامة عنها .

- ٢ -

والمستفاد من هذه النقوش ان العقائد والحياة الدينية في جنوب الجزيرة كانت متماثلة على اختلاف الادوار والبيئات . فتد كان التمر هو المعبود الرئيسي مع اختلاف في تسميته وتطور في اعتباره ثم يأتي بعده الشمس ثم الزهرة على اختلاف كذلك في تسميتهما وتطور في اعتبارهما . وكان لكل شعب او قبيلة اله قومي خاص يعتبرونه حامياً لهم ورابطة تربط بين وحداتهم . وكان لهم الى هذا وذاك آلهة ثانوية اخرى . وكانوا يصنعون لآلهتهم تماثيل يضعونها في معابدهم ليؤدوا عندها طقوسهم ويقربوا قرابينهم .

ولقد كانت المعبودات الرئيسية الثلاثة في الدولة المعينية تسمى « ود » و « نكرج » و « عثر » بالتوالي وكان القمر مذكراً والشمس مؤنثة والاول بمثابة زوج للثانية .

(١) مرجع هذه الملمحة تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي ج ١ ص ٣٨١ - ٣٩٧ و ج ٢ ص ٨ - ٥٦

و ص ٦٤ - ٩٨ و ص ١٠٠ - ٢٧٥

وكانت الزهرة تنسب الى المدن والمناطق فيقال عثر هيريق وعثر قبض مما قد يكون فيه دلالة على انها كانت تعتبر ابنة لها . ولقد عثر على شاهد قبر امرأة معينة عليه صورة الميتة ورمز الزهرة في وضع توسلي لانزال الويل على من يتجاسر على تغيير الحجر عن موضعه مما قد يكون فيه دلالة ما على ما قلناه .

وكان الشعب المعيني يسمي نفسه ابناء ود ويعتبر هذا المعبود الهه القومي وحامييه والرابطة التي تجمع بين وحداته وفروعه .

ولقد كان ود في اثناء قوة الدولة المعينية وسلاطنها الشامل الهاً رئيسياً عاماً لجميع الامارات والمناطق الخاضعة لها ، فمن المحتمل انه كان اله المعينين القومي قبل ان تصبح السيادة الشاملة لهم ثم ظل ذلك ملحوظاً عندهم مع ارتناع منزلته وعمومية عبادته .

ولقد قرىء في نقش معيني عبارات « ذات نشقم » و « معبد يثعم » واسم « يثل » في جملة فيها تعداد لآلهة معين وليس فيها بيان ما . فإما أن تكون اسماء مدن فيها معابد لآلهتهم المعروفة وإما أن تكون أسماء معبودات ثانوية ظلت هويتها ومركزها غامضاً . وقد كانت اسماء الآلهة الرئيسية عند الحضرموتيين نفسها عند المعينيين . غير انهم كان لهم اله قومي حاميههم وربطتهم بسمونه « سين » وكانوا يسدون انفسهم ابناء سين . وقد عثر على نقش حضرموتي سجل فيه صاحبه « ان نفسه وروحسه واولاده ومتنتياته ونور عينيه وما يفكر به في قلبه هو لسين اله حضرموت . وقد وجدت آثار معبد ضخيم لسين في خرائب مدينة حضرموتية اسمها مذب . وقد قرىء في بعض النقوش جملة سين ذ مذهم اي سين مدينة مذب ولعلها كانت تشير الى هذا المعبد .

وبعض النقوش يفيد ان اسم سين كان يطلق على التمر ويعتبر المعبود الرئيسي الاول في فترة من الفترات . ولعل هذا كان حينما غدت حضرموت قوية متمتعة بسيادة شاملة نوعاً ما على ما جاء بيانه في الباحث السابقة .

وقد قرىء في نقوش حضرموتية اسماء الهين آخرين وهما ذات حشو وذات صميم دون بيان عن هويتها ومركزهما . وجملة « ذات كذا » كانت تعني وصفاً للآلهة الرئيسية . وليس من المستبعد ان تكون هنا من هذا القبيل .

وقد قرىء في نقش حضرموتي على لوح نحاسي موجود اليوم في المتحف البريطاني دونه الملك الحضرموتي صدق ذخر اسماء سين وعلم وعثر . وقد ورد في نقش حضرموتي آخر جملة « سين ذ علم وسين ذ مشور وسين ذ علم ذ علق

أحن « (١) وقد فسر جواد علي عبارة سين ذ علم بمعنى سين العالم او العليم اي اعتبر العبارة وصفية وليست اسم معبود جديد . وقال ان معنى الجملة معبد سين العليم في مدن مشور وعلق وأحن .

وقد قرئ في نقش حضرموتي اسم « حول » مع اسماء سين وعثر وشيس ، دون ان ما ، وهذا النقش سمي الالهة الشمس باسمها العربي بديلاً عن اسم نكرج المعيني .

ولقد سمي القتبانيون القمر ودأ كما فعل المعينيون والحضر موتيسون وسموا الشمس خيرة على ما تفيد نقوشهم . وقد كان لهم الى هذين المعبودين معبود قروي اسمه عم ويعتبرونه حاميههم ورابطة عتدهم ويسمون انفسهم اولاد عم . وكان لهم معابد في المدن ينسب اليها مثل عم ذو شقرن وعم ذو ريمت وعم ذو يسرن اي معابد عم في مدن شقرن وريمت ويسرن .

وقد قرئ في نقوش قتبانية اسم اله آخر هو انبي . وفي احدها انه دون تقريباً لاله انبي ودعاء له ليمن على الارضين بالخير والبركات مما يمكن ان يدل على انسه كان اله المطر والخصب او أنه كان يشغل المركز الذي كانت الزهرة تشغله عند المعينيين وهو على هذا الاحتمال ثالث الثالث .

وقد قرئ في نقوش قتبانية عبارات « حوكم وذات صفتهم وذات ظهران وذات سظم وذات رحبن » وقد خمن الاثريون ان جملي ذات ظهران وذات رحبن وصفيتان توصف بهما الشمس ولم نرهم يعلقون على العبارتين اثنتين . ولا يمكن القطع بما اذا كانتا جمليتين وصفيتين او اسمين لمعبودين ثانويين من معبودات القتبانيين .

وقد قرئ في نقش لامرأة اوسانية جملة « معبد نعمان » دون بيان آخر . ولا يمكن الجزم بما اذا كانت كلمة نعمان تعني اسم المدينة التي فيها المعبد او اسم معبود اوساني لاله للمعبود القومي للاوسانيين .

والسبتيون كانوا يسمون معبودهم القومي باسم « المقه » ولما صار لهم السلطان الشامل صار المقه معبوداً عاماً للدولة مع بتائه معبودهم القومي على ما تفيد نقوشهم .

وقد كان اسم المقه يرمز الى القمر . ولا ندري هل كان هذا قبل ان صار معبوداً عاماً للدولة او بعد ذلك .

وقد قرئ في نقوش سبئية عبارات « عثر وهوبس وذات حيم بالاضافة الى المقه .

(١) حرف ذ الذي يسبق الكلمة يفيد معنى النسبة او المصاحب او الذي حسب مدلول الكلمة .

ويغمن الاثريون ان جملة ذات حيم وصف للشمس ، وان السبئين كانوا يصفونها كذلك باوصاف ذات بعدن وذات خنصرن وذات برآن . وهكذا يكون ثلوث القمر والشمس والزهرة قد استمر في عهد الدولة السبئية التي صارت شاملة السلطان بعد الدولة المعينية مع تبديل في التسمية للشمس والقمر . ولا تذكر النقوش شيئاً عن هوية هوبس ، مع انها ذكرته مراراً . ولعله من الآلهة الثانويين وان لم يمكن معرفة مركزه . ونقوش السبئين تفيد انهم كانوا يتوسلون بعثر في قضاء حاجاتهم ومطالبهم وهو ما كان يفعله المعينون قبلهم .

وفي العهود الاخيرة من الدولة السبئية وبكلمة اخرى في عهد الاسرة المرنثية ظهرت اسماء معبودات جديدة وتدنّت منزلة المقه . ومن الاسماء الجديدة التي ظهرت « ذو سموي » اي رب السماء و « تالب ريم » و « نتف بعلة ذي غفرن » . ويستفاد من النقوش ان تالب ريم كان معبود بني مرثد القومي وحاميهم فتألق نجمه حيناً صار العرش السبي لاشرة منهم . وقد قرىء في نقوش عديدة نسبة تالب ريم الى المدن مثل تالب ريام بعل مبن وتالب ريم بعل شعرن وتالب ريم بعل خضعتن وتالب ريم بعل مدثن وتالب ريم بعل كبدم (١) . وقد وصف في نقش بوصف شيخهم اي حاميهم وراعيهم .

اما تسمية ذسموي فمن المحتمل ان يكون اريد بها القمر او الشمس وان كانت تحمل معنى ابعد من ذلك وبكلمة اخرى تحمل معنى القوة التي وراء الشمس والقمر . وفي هذا تطور مهم في العقيدة الدينية .

وليس في النقوش ما يساعد على معرفة هوية ومركز نتف ولكن النفس الذي ذكرت فيه قبلها مباشرة كلمة « ثسهمو » ولا ندري هل يعني ذلك ان النتف هي اسم آخر للشمس ام انها وصفت بالشمس .

وهناك نقوش تفيد ان عبادة وذكر ذي سموي كانت محصورة في منطقة معينة ، وكان ينسب اليه مدن معينة مثل ذسموي اله امرم وذسموي بعل بين ظعن وذسموي بعل وترم . فمن المحتمل ان يكون « ذي سموي » في البدء الهاً قومياً لاحدى القبائل ثم اتسعت دائرته ومعناه .

(١) بعل وبعلة تعني رب وربة . فبعلة ذي غفرن معناها ربة مدينة غفرن وبعل صبين وبعل صبين وبعل شعرن تعني رب مدينة صبين ورب مدينة شعرن .

وهناك نفوش سبئية متأخرة منها ما هو قبيل الميلاد المسيحي ومنها ما هو بعده بقليل ذكر فيها اسماء المثة وعثر وهوبس وذات حيم وذات بعدان وذو سموي معاً ، وقرىء في بعضها اسم الشمس . حيث يدل هذا على ان الآلهة السبئية التي كانت ذات مكانة عالية في عهد السبئيين الاولين لم تتوار بالمرّة مع تسألقي نجم تالب زيام ثم دسموي في الوقت نفسه .

وقد قرىء في نقش اسم معبود جديد هو فينان لعشيرة اسمها خساً . ويتّصل ان يكون معبودها القومي . وقد قرىء اسم هذا المعبود في نقوش متأخرة مع اسماء عثر وتالب ريم وشمس ومع تالب ريم فقط ، وقد يؤيد هذا ما قلناه عنه لانه ذكر مع آلهة رئيسية عامة .

وقد قرىء في نقش كتب بعد الميلاد المسيحي بقليل اسماء عثر وسين ذعلم وعم ذدونم وعم ذمبرم وعثر ذ صفتم (١) وود اله مشو وذات بعدان وذات ظهرون وعليت الالهة حررم وشمس الالهة وينين علفقن .

ويدل اجتماع هذه المجموعة على ان آلهة اليمن لم تكن تتوارى وان كان بعضها يتألق على بعض تبعاً للتطور السياسي والعسكري . ولعلها كانت تغدو معبودات خاصة في مناطق خاصة من قبل انسال الذين اتخذوها معبودات رئيسية في عهد سابق . وفي المجموعة اسم جديد هو عليت الالهة حررم وليس هناك ما يكشف عن هوية هذه المعبودة ومركزها . ولعلها معبودة قومية لعشيرة حررم او مدينة حرم كما هو شأن فينان .

وقد قرىء في نقش سبئي متأخر اسم « رمان » بعل علمن . وهذا اسم معبود جديد . ومن المحتمل ان يكون كفينان وعليت معبوداً قومياً لعشيرة علمن او مدينة علمن .

وقد قرىء في نقش سبئي متأخر ايضاً اسم الالهة ذات غيان . وقد دون النقش جماعة من حملان . ومن المحتمل ان تكون من ذلك القبيل .

وقد قرىء في نقش سبئي متأخر كذلك اسماء الآلهة عثر وسحر بعلي نفقان وهمس والمثة وذات بعدان وشمس . وفي النقش اسم جديد هو سحر . وهو من ذلك القبيل على الأرجح ايضاً .

(١) معنى عثر ذ صفتم هو معبد عثر في مدينة صفتم ومعنى عم ذ دونم وعم ذمبرم كذلك .



انه حجر شاهد على قبر رسم عايله صورة عجلة بن سعدلات
وان صاحبه يتوسل الى الاله عشر شرقن بانزال العقاب على من
يغيره من مكانة.

ويلحظ ان اسم شمس جاء في النقش الآنف الذكر مع جملي ذات حيم وذات بعدن
ذات عطف ولا اشارة وصف . ولا ندري كيف يوفق بين هذا وبين ما قاله جواد علي
ان ذات حيم وذات بعدن صفتان للشمس . فهل صارت هاتان الصفتان في وقت ما
معبودتين مستقلتين ؟

وهناك نقوش عديدة ذكر فيها خبر تقديم او ثان من ذهب او فضة او بسدون ذكر
معناها لمعابد الآلهة وفاء بنذر او علامة على شكر . غير انه ليس فيها ما يساعد على
معرفة شكل التمثال وان كان يدل على ان اليمينيين كانوا يصنعون لمعبوداتهم تماثيل مادية
يصنعونها في معابدهم ليؤدوا عندها طقوسهم ويقربوا قرايبتهم . ويتبادر لنا ان تماثيل
الذهب والفضة هي نماذج مصغرة لتماثيل مادية كبيرة للمعبودات هي التي كان يؤدي
عندها الطقوس وتقرب القرابين ويوجه اليها الدعاء والتضرعات .

وهناك نقوش عديدة تفيد انه كان في المدينة الواحدة معابد متعددة للآلهة المتعددة ،
وان الملوك والامراء والاعنياء كانوا يهتمون كثيراً لانشاء المعابد وترميمها وتجديدها
وتزيينها .

- ٣ -

وتفيد النقوش انه كان للمعبودات حيز عظيم في اذهان اليمينيين بحيث يذكرونها
ويلحظونها ويتقربون اليها في كل حادث ومناسبة وعمل ويربطون بينها وبين كل مناسبة
وعمل وحادث غير انه ليس فيها ما يساعد على معرفة اشكال الطقوس التي كانوا يؤدونها
لهم . وليس فيها كذلك ما يدل على انه كان عندهم فكرة عن حياة اخروية وثواب
وعقاب اخروييين . وكل ما تنفيده هو انهم كانوا يتعبدون لمعبوداتهم ويتقربون اليها
ويذكرونها في مختلف المناسبات ويربطون بينها وبين كل عمل وحادث لشؤونهم المختلفة
في الحياة الدنيا وبكلمة اخرى لضمان مطالبهم وقضاء حوائجهم وتحقيق آمالهم ودفع
الشر والاذى عنهم وجلب الخير والنفع لانفسهم . ويلحظ هذا في مختلف النقوش المعينية
والحضر موتية والفتبانية والسبئية على السواء وبالنسبة لمختلف الادوار .

ولقد اوردنا نماذج مما احتوته النقوش من اخبار التقدّمات والنذور والدعاء للآلهة
في مناسبات متنوعة سياسية وحربية لاجل الشكر او التوسل بتحقيق بعض المطالب .

وفيما يلي نماذج اخرى من مختلف الادوار وفيها في الوقت نفسه صوّر عن اساليب

حياة اليمينين في الدور الذي نحن في صددده .

١ - نقش حضر موتي قديم دونه معدي كرب احد ملوك حضر موت ذكر فيه وقفه حصناً اسمه خرف للاله عثر ذقبضم تقريباً له ولللهين ود ونكرح .

٢ - نقش معين دونه جماعة من آل دبرو اعلنوا فيه جعلهم مبانيهم في حماية عثر شرقن وعثر ذقبض وعثر ذهريق وود ونكرح .

٣ - نقش دونه زعيان معينان شكروا فيه عثر ذقبضم وعثر شرقن وعثر ذهريق وبقية آلهة معين ود ونكرح لانها ثبتت قافلة لهم من الغزاة وسلمت امواهم وحفظت ارواحهم حتى وصلوا سالمين الى مدينتهم قرنوا . وقد ذكروا في النقش انهم اجرؤا تزيينات في معبد يثعم كعلامة شكر وابتهاج .

٤ - نقش دونه شهر هلال بن يدع احد ملوك قتيان يذكر فيه تقربه الى الاله انبي ليمن على الارضين بالخير والبركات .

٥ - نقش قتياني دونه شخص اسمه شرح عت ذكر فيه ان الملك كلفه بانشاء برج . وقد اورد اسماء الآلهة عثر وعم وانبي وحوكم وذات صفتم وذات ظهرون وذات رحبن في مبدئ النقش كأنما اراد التيمن والبسملة بهم .

٦ - نفوش حضر موتية عديدة يذكر فيها اصحابها خبر تقديمهم نذوراً للاله سين ليمنحهم العمر الطويل . والخير والبركة .

٧ - نقش دونه رجلان اسم احدهما عن ذم بن اب اتس وثانيهما رب ايل بن عزم لات من عشيرة مريين ذكرا فيه انها قدما الى معبد الاله سين ذ علم في شبوه سبعة تماثيل من الذهب حسب امر سيدهما الملك .

٨ - نقش سبي دونه رجل اسمه شفق بن عم كرب لمناسبة تقديمه قرايين الى الاله عثر ذ ذنين شكراً له لسقيه اراضي قبيلته سقياً مروحياً في الخريف والربيع .

٩ - نقش تضرع كاتبه المجهول للآلهة بان تمن عليه بالصحة وان تباركه في نفسه وامواله وانتهى بخاتمة معناها « بحق الاله تالب ريم » .

١٠ - نقش ذكر فيه ان رجلاً اسمه ابو كرب قدم الى معبد ذسموي في وترم اربعة تماثيل على هيئة ايل من الذهب لعافية جماله . وهذا عمل جديد وذو مغزى حيث كانت التقدمة تمثل المطلب المراد من الاله .

١١ - ومن هذا الباب نقش يذكر صاحبه خبر تقديمه تماثيل بغل من ذهب الى ذي سموي ليمن على بغاله بالعافية .



حجر شاهد لقبر نبل صوره امرأة كتب عليه ان اسمها غلت بنت مغدت وانها
تتوسل الى الاله غنتر بانزال الويل على من يغير الحجر عن موضعه

١٢ - نقش سجل اصحابه فيه شكرهم للاله فينان معبود قبيلة خساً لانه ساعدهم واجابهم الى طلبهم ومن عليهم بالصحة والعافية .

١٣ - نقش دونه برج بن حب من همدان سيد حصن همرن ومن اقيال سمعى ذكر فيه خبر تقديمه هو واخوه الى الاله تالب ريم بعل ترعت تمثالا لخيرهما وسعدهما وخير قبيلتهما تنفيذاً لوحي هذا المعبود اليهما في معبده .

وفي هذا شيء جديد حيث يفيد ان الكهان كانوا باسلوب ما يبالغون زلمتوساين بالآله ما يريدونه منهم من تقدمات كانه وحي منهم !
وقد صرفنا النظر عن ايراد نقوش كثيرة مماثلة خشية التويل بدون طائل .

- ٤ -

ولقد كان للكهانة ووقوف المعابد وضرائها حيز منهم في المجتمع اليميني على ما تفيد النقوش وكان الكهان نتيجة لذلك كأنهم دولة ضمن دولة بما كان يجبى اليهم من ضرائب وموارد وبما كانوا يسهمون فيه من اعمال ومشاريع عامة واقتصادية .

وفكرة المكربة تمثل الكهانة في ذروتها العليا حيث كان الملوك المعينيون والسسيون والقتبانون والحضر موتيون في البدء يتلقبون بلقب مكرب الذي كان فيه معنى الرأس الدينية والوسيلة التقريبية بين الآلهة والناس . وكثير منهم احتفظوا بلقب المكرب مع تلقبهم بلقب الملك لهذه الغاية . وكان غير الملوك من الاقيال والحكام يمارسون الزعامة الكهنوتية لهذا الاعتبار .

ولقد اوردنا في مباحث معين وسبأ وقيتان وحضر موت نقوشاً فيها دلالة على ما كان من مركز الكهان وضرائب المعابد ومواردها . وهناك نقوش اخرى من هذا الباب ايضاً . ومن هذه وتلك يستفاد :

١ - ان الملوك والامراء والاعنياء كانوا يجلسون على المعابد اوقافاً كثيرة وخاصة من الاراضي الزراعية .

٢ - ان الضرائب الرسمية التي كانت تجبى من غلات الارضين تقسم الى ثلاثة اقسام واحد للملوك وواحد للامراء والحكام وواحد للمعابد .

٣ - أن النذور التي كان الناس يندرونها بطوعهم تصبح ديناً للآله واجبة الأداء لمعبد الاله الذي نذرت له .

٤ - ان من الضرائب المخصصة للمعابد ما هو اختياري وتبرعي ويدعى اكرب ومنها ما هو اجباري ويدعى فرع او عشر . وهناك ضريبة تدعى عصم وهي ما يقدم للآلهة من زكاة ونذور وهبات عند برء سقم وزيادة غلة .

٥ - ان المعابد كانت تساهم في نفقات المشاريع العامة كاقامة الحصون والابراج وحفر الخنادق .

٦ - إنه كان للمعابد ضرائب على الارباح التجارية وبلغ احياناً عشر الارباح . وكانت المعابد تتقاضى حصتها احياناً عيناً .

-- ٥ --

هذا ، ومن الجدير بالذكر ان القمر والشمس والزهرة كانت معبودات رئيسية في العراق والشام ومصر وسائر انحاء الجزيرة في مختلف ادوار التاريخ القديم ، وكانت الموجات العربية في العراق تسمى القمر مين والشمس شمشا والزهرة عشتار ، وكانت الموجات العربية في الشام تسمى الزهرة عشتروت اي انها كانت تتأثر بالتسمية وبالعبادة مع جنوب الجزيرة على ما سوف نشرحه بعد مما يسوغ القول إن العبادة السماوية اصيلة في الجنس العربي وان وحدة الفكرة الدينية قائمة بين فروعه وان هذا مما يؤيد وحدة الارومة بين سكان الجزيرة ومهاجرها .

ولقد ذهب بعض الباحثين الى ان عبادة القمر والشمس اتت الى اليمن من بابل مع ان المفتضى ان يكون العكس هو الصحيح ما دام البابليون هم موجة عربية الجنس تمت الى جزيرة العرب على ما سوف نشرحه بعد . وعبادة المشاهد السماوية اشبه ان تكون من وحي طبيعة الجزيرة وسماؤها ونجومها ولياليها كما هو المتبادر . وليس معنى تأخر دولة معين في البروز عن دول العراق الاولى انه لم يكن في اليمن دول قبلها ولم تكن عبادة سماوية في المهد الذي خرجت منه تلك الموجة كما لا يخفى . وللقمر خاصة اثر عظيم في حياة الجزيرة العربية الشديدة الحرارة حيث يكون الليل وللقمر الذي ينز ظلماته الاثر الاكبر في النفوس ولعل هذا هو سر جعل القمر الاكبر المعبود الاكبر . وقد قال بعض الباحثين إن العربية الجنوبية ارسلت موجات متعاقبة من البشر سلكت الطرق البرية والبحرية حتى وصلت الى المناطق التي وصلت اليها واستقرت فيها . وهاجرت وقد

حملت معها كل ما تملكه من اشياء ثمينة وحملت فيها حملته الاله القمر (١) .

ويخطر بالبال في صدد العبادة السماوية والشركية والتعددية في اليمن ثم في مهاجر العرب الاخرى في التاريخ القديم ان الجنس العربي لا يعقل ان يكون اعتقاد ان القمر والشمس والزهرة وغيرها من مشاهد السماء هي الخالقة البارئة المدبرة للكسوف . لأن ما اكتشف لهذا الجنس من مآثر في اليمن ومهاجرها منذ اقدم الازمنة يدل على انه لم يكن غيباً غباء يجعله يعتقد ان هذه المشاهد الكونية هي خالقة الكون وبارئته ومدبرته ، وان كل ما في الأمر انه كان يراها كعيون لقوة خفية عظيمة تكمن في الكون وتتجلى في الدرجة الاولى في السماء ، وانه كان يتعبد الشمس والنجوم كوسيلة الى ما وراءها ، لان الذهن البشري في ادوار حضارته الاولى كان ينصرف دوماً الى المشاهد المرئية ويتأثر بالمشاهد السماوية .

ومثل هذا يصح ان يقال بالنسبة للاصنام والاوئان والمعبودات المادية التي اتخذها العرب حيث لم تكن الا رموزاً وهياكل مادية في الارض للقوى الخفية السايوية لبؤدوا عندها طقوسهم وذبجوا قرابينهم جلباً لما يتوخونه من منافع ومطالب ودفعاً لما يخشونه من شرور واضرار . وتعدد الآلهة السماوية والمادية مرده في الغالب تعسّد المطالب والحاجات واعتقاد العرب بضرورة جعل وسيلة خاصة لكل مطلب وحاجة كما ان فيه ما يعود الى شعور كل فريق او عشيرة او منطقة او مدينة الى حام خاص يحميهم ويكون لهم ملجأ ومرجئاً مع ملاحظة القوة الخفية العظمى الكامنة وراء ذلك كله .

ولعل مما له دلالة على هذا كلمة عربية الجنس كانت منذ القديم في مختلف اللهجات العربية القديمة بمعنى الاله وهي كلمة « ايل » التي تعني الرب او الاله في المعينية والسبئية والبابلية والآرامية والكنعانية والسريانية والعبرانية والتي يصح ان يقال انها الاصل الذي تطورت عنها كلمة « الاله » او « الله » في العربية الفصحى حيث وجدت هذه الكلمة بهذا المعنى في الآثار البابلية والكنعانية والفينيقية والسريانية والآرامية والعبرانية كما وجدت في السبئية والقتبانة والحضر موتية الخ . فالذي يتبادر الى الذهن ان هذه الوحدة في اللفظ والمعنى لا بد من انها تعني وحدة عامة في الفكرة وتقوم دليلاً على وحدة الربوبية العليا عند الناطقين بها . ويجدر بالذكر الى هذا ان هذه الكلمة كانت تلتحق بالاسماء في اللغات المذكورة جميعها ليكون فيها دلالة على الاعتراف بعبودية اصحابها للاله والاعتزاء

اليه مثل كروب ايل وسعد ايل ويذكر ايل ويسمع ايل ويندع ايل وصدق ايل وبنع ايل
وباب ايل ثم جبرائيل وعزرائيل وميكائيل واسرافيل واسرائيل الخ الخ . . مما قرىء في
التقوش او ورد في المدونات القديمة .

وفي تفريرات القرآن عن مدى عقائد العرب الشركية والسمائية شيء غير يسير متطابق
مع ما نقرره .

١ - في سورة يونس الآية التالية :

« قل من يرزقكم من السماء والارض ومن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي
من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون » ٣١

٢ - وفي سورة المؤمنون الآيات التالية :

« قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون . سيقولون لله قل أفلا تذكرون . قل
من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون الله قل أفلا تتقون . قل من بيده
ملكوت كل شيء وهو يجز ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون . سيقولون الله قل فأنى
تسحرون . . ٨٤ - ٨٩

٣ - وفي سورة العنكبوت الآية التالية :

« ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل
الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون . . ٦٩

٤ - وفي سورة الزخرف الآية التالية :

« ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم » ٩
حيث تقرر هذه الآيات ان العرب المشركين كانوا يعتقدون بان الله اى القوة الخفية
العظمى وراء الاكوان هو الذي خلق الاكوان وهو الذي يدبرها .

١ - وفي سورة يونس الآية التالية :

« ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله
قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات والارض سبحانه وتعالى عما يشركون . . ١٨

٢ - وفي سورة الزمر الآيات التالية :

« ألا الله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله
رغبة إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار . . ٢٠
حيث تتضمن هذه الآيات تقرير كون العرب انما كانوا يشركون مع الله آلهة اخرى

على اعتبار انهم شفعاء ووسائل قربين الى الله القوة الخفية العظمى .

وفي سورة فصلت الآية التالية :

« ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس والقمر واسجدوا لله
الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون .. ٣٧

حيث تأمر المخاطبين بالسجود لله لا للشمس والقمر اللذين هما من مخلوقات الله كما
يعتقدون اذا كانوا يعتقدون بالله ويعبدونه كما يدعون .

ولئن كانت هذه الآيات حقاً هي في صدد عقائد عصر النبي عليه السلام ويثبت فان
هذه العقائد ليست طائفة كما هو المتبادر وانما هي متصلة بعقائد الآباء والاسلاف كما
حكى ذلك عنهم آيات عديدة . مثل آية سورة سبأ هذه :

« واذا تلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يبعثكم عما كان
يعبد آباؤكم .. ٤٣

ومثل آية الزخرف هذه :

« بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون .. ٢٢

تذييل

إن الصور المثبتة في هذا الفصل مقتبسة من كتاب تاريخ العرب
قبل الاسلام تأليف الدكتور جواد علي باذن المجمع العلمي العراقي الذي
طبع الكتاب على نفقته .

في شمال الجزيرة

البحانيون (١)

ذكرنا في مبحث الدولة الميعينية ان سلطان هذه الدولة امتد من طريق البحر الاحمر وخليج العقبة الى الموقع الذي يعرف اليوم باسم معان والذي يرجح انه دتمبس من اسمها، ثم استد حتى وصل الى العلا في اعالي الحجاز ، وانه كان في هذه المنطقة قبائل عرفت ببني لحيان كانت تخضع لهذه الدولة ، وصار يقوم على حكم المنطقة نواب عن الدولة الميعينية من زعمائها يسمون « كبر » اي كبير وزعيم ، وهو اصطلاح يعني قديم على ما مر بيانه في اثناء الكلام عن الدول اليمنية .

ولقد وجدت نقوش كثيرة عرفت بالنقوش البحانية ... لان فيها ذكر لحيان - في مكان يعرف اليوم بالخرية في منطقة العلا في شمال الحجاز . ويظن انها خرائب عاصمة البحانيين التي كان اسمها ددان . ما يستفاد من دراسة الاثرين .

ومعظم النقوش المكتشفة مع الاسم محطم ومشوه ، ويحمل كثير منها اسماء بعض زعماء لحيان ومشايخهم وآلهم ولكنهم على كل حال تنطوي على دلالة مهمة وهي المام كثير من بني لحيان بالقراءة والكتابة مما يهدم ما كان يقوم في الاذهان من انعدام من يقرأ ويكتب في الشمال او قلة قليلة .

ومن اسماء الزعماء والمشايخ التي قرئت على النقوش : هنيء بن اس بن شجر ولوزان بن هنيء بن اس وخمت قشم بن لوزان وتلبي بن هنيء اس وعبدان هنيء اس ومسعود هنيء وعتر بن اوس بن ثعلب بن عباد آل هانيء حنكات وحنلاس زيد ضريم بن بال - بعل - وسهم ايل وسلمان وثام يعم وكرب ايل ، ومن اسماء آلهم التي قرئت كذلك اثنت ومائة ويغوث وود وذو غبت ، واللمحة العربية بادية على الاسماء ومنها ما هو عربي فصيح يمكن ان يكون كتب في القرون الاخيرة قبل البعثة النبوية .

وبعض الاثرين يرون ان طريقة تدوين معظم الكتابات البحانية تشابه طريقة تدوين

(١) مرجع هذه البذة تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٢ ص ٣٠٥ - ٣٠٧ وج ٣

الكتابات العربية الجنوبية . ولعل ذلك نتيجة لما كان من سلطان المعينين على هذه الانحاء .

ومهما يكن من امر فان تشابه الاسماء والمعبودات اللحيانية واليعينية القديمة يدل على وحدة الارومة والجنس والافكار وبالتالي يدل على ما نبهنا عليه من ان عرب شمال الجزيرة وجنوبها ارومة واحدة مشتركة الخصائص افترقوا عن بعضهم بسبب ظروف الحياة وطبيعة الجزيرة مع احتفاظهم بالخصائص المشتركة .

ولقد جاء في نقش لتغلات نلأشر الثالث الاشوري انه غلب السبئيين (١) في سياق ذكره حاة له على البادية ومنطقة قبائل ثود في طريق الحجاز ففسر الباحثون ذلك بان الكلمة تعني السلطات السبئية التي خلفت السلطات المعينية حينما غلب السبئيون دولة معين في جنوب جزيرة العرب . واسماء معظم زعماء وملوك او شيوخ بني لحيان تحمل لمحة صريحة العروبة بحيث يسمح ان يقال انهم تولوا الحكم قبيل الميلاد المسيحي على الاقل ، وينطوي في هذا احتمال تفلت بني لحيان من سلطان السبئيين او ممارستهم الاستقلال الذاتي في ظل سلطانهم ردها من الزمن .

وقد ذكر بيلوس الكاتب الروماني اللحيانيين بصيغة *lechiueni* حيناً و *Lecanitre* حيناً حسب ما فسرهُ الاثريون وقال عنهم ان بطوناً منهم كانت منتشرة بين بنيع وايله - ثغر على خليج العقبة - وفي داخل البلاد والاعلا وهضبات خيبر وانه كان لهم جملة دويلات او مشيخات منها واحدة كانت مستقلة عاصمتها العلا . ثم قال انهم كانوا في القرن الاول بعد الميلاد تحت سيطرة الانباط .

والنقوش والمدونات نبيء ان دولة الانباط في القرن الاول بعد الميلاد كانت قوية وان سلطانها قد وصل الى الحاجر - مداين صالح - على ما سوف نذكره في القسم الثاني ، فلا يبعد ان تكون بسطت سلطانها على اللحيانيين كذلك في هذه الحقبة بشكل من الاشكال . ونرجح ان مشايخهم ظلوا يمارسون السلطان المحلي في نطاق الدولة النبطية الى ان زالت في اوائل القرن الثاني بعد الميلاد .

ولقد قلنا ان الاثريين يقولون استناداً الى دراساتهم ان عاصمة بني لحيان هي مدينة ددان . وقد ذكرت هذه المدينة في سفر حزقيال من اسفار العهد القديم الذي يرجع تدوينه في القرن الخامس او الرابع قبل الميلاد بأسلوب يدل على الشهرة التجارية حيث

(١) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٢ ص ٢٩٩ وما بعدها

جاء على لسان حزقيال خطابه لصور « ينو ددان تجبارك . بطنافس الركوب ددان تاجرتك » .

واقـد ذكـرت الـكتب العـربية اللـحيانيـن فقـالت انـهم سـكنوا في شـمال شـرقي مـكة . وانـهم ينـتسبون الى لـحيان بن هـذيل بن مـدركه وانـهم كانوا من احـلاف قـريش ومن بني عـجومة هـذيل الـتي كانت تنـزل كـذلك في شـمال شـرقي مـكة . وعـدهم الـهمداني من بـقايا جـرهم . ويـوجد الـآن مـنازل لبـني حـيان في مـنطقة الحـرم المـكي عـلى بـعد اـميال من مـكة . وليـس من البـعيد ان يـكون الـذين تحدـثت عـنهم هـذه الـكتب من انـسال اولـئك اللـحيانيـن ، وانـهم انتـقلوا قـبل الـاسلام او بـعده الى نـاحية مـكة واخـتلطوا مـع هـذيل وصـاروا يـعدون مـنهم غـير انـهم لم يـكن لـهم الشـأن الـذي كان لـهم .

وقـد ذكـرت كـتب السـيرة (١) حـبر غـزوة للـنبي لبـني لـحيان في الـسنة السـادسة لـلهجـرة وقـالت انـهم كانوا يـنزلون مـكاناً اسمـه غـران قـرب مـكة وانـهم لما علـموا بـزحف النـبي تمـنعوا بالـجبال ، كـما ذكـرت انه كان لـهم قـرية اسمـها عـسقان (٢) وحي كـذلك قـرب مـكة .

ولـقد سـلكنا اللـحيانيـن في سـلك حـقبة ما قـبل العـروبة الصـريخة مـع ان اسـتثلالـهم كان في حـقبة العـروبة الصـريخة وطـابع العـروبة بارـز عـلى كـثير من اسمائـهم بسـبب كـون تـاريخـهم متـصلاً بـتـاريخ الدـولة المـعينة .

الشموديون (٣)

ولـقد وجـدت كـذلك في شـمال الحـجاز وفي الجـهات الـتي تـعرف اليـوم بمـسـدائن صـالح كـتابـات كـثيرة عـرفت بـالكـتابـات الشـمودية لان فـيها ذكـراً لـشمود . وقـد وجـدت كـتابـات مـماثلة لما في الـخط والـلهجة في الـيمن ونـجد ايضاً مـما فـيه الدـلالة عـلى انـتشار الشـموديين .

والـكتابـات الـتي وجـدت قـصيرة تـألف من كـلمة او كـلمات قـليلة وعـليها في الغـالب صـور حيـوانات الى جـانب الـكتابة ومـعظمـها كـتب في امـور شـخصية . وعـلى كـل حـال

(١) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ١٢٢

(٢) معجم البلدان لياقوت حـرف المـين .

(٣) مرجم هـذه النـبذة جـواد عـلى ج ٢ ص ٣١٣ و ج ٣ ص ٣٠

فإنها تنطوي على دلالة هامة في صدد الحالة الثقافية والدينية التي كان عليها اليهوديون
وبنوع خاص على ان كثيراً من اليهوديين كانوا يلجئون بالبراءة والكتابة كالتحيينين .

وبعض الاثريين يرجعون بعض الكتابات الى القرن السابع قبل الميلاد غير ان أكثر
ما عثر عليه يرجع الى ما بعد الميلاد . وطابع العروبة الصريحة بارز عليه .

ومن اسماء الاشخاص التي قرئت على النقوش : « اوس » و « سعد » و « عيفر »
و « ودائل » و « بارح » و « كرب ايل » و « مالك » و « عذرايل » و « عوذ »
و « اسعد » و « عيش » و « غياش » و « أياس » و « قيس » و « هلال » و « مهب »
و « ملهب » و « كعب » و « تيمت » و « سعدان » و « حزم » و « عطيل »
و « يعلى » و « على » . ومن اسماء الآلهة التي قرئت عليها « ود » و « شمس » و « مناة »
و « كاهل » و « بعلت » و « يهوا » و « رضو اورض » .

وهذه الاسماء تمثل كما هو المتبادر ادواراً متنوعة منها ما هو عربي صريح فصيح
ومنها ما هو عربي صريح قديم ؛ ومنها ما يتشابه مع الآلهة والاسماء اليمنية في دور ما
قبل العروبة الصريحة ومنها ما يتشابه مع الآلهة والاسماء الشامية في دور العروبة الصريحة ؛
مما يدل على انها متصلة بالقديم ومستمرة الى عهد متأخر ؛ ومما يدل كذلك على وحدة
الارومة والفكرة والعقائد بين سكان الجزيرة في الشمال والجنوب معاً .

وهذه بعض نماذج من نصوص الكتابات اليهودية :

- ١ - هعلم لبيى . والكتابة تشير الى علم وتعلن انه ملك لشخص اسمه لبيى .
- ٢ - لم يغث بن جشم هوعل . والكتابة تشير الى وعل وتعلن انه ملك لشخص
اسمه يتم يغوث بن جشم .
- ٣ - لحزم ونشوق ال عمت . والكتابة تدون نشوق شخص اسمه لحزم الى عتمه .

وقد وجدت كتابة طويلة نوعاً ما على مقبرة . وهذا نصها :

انه قبور صنع كعبور حرثت للقص برت عبو موتى امه دي هلكت في الحجر شنة
ماه وشتين وترين بيرح تموز ولعن مري علما من يشنا التهور دا ومن يفتح حشى يسلده
ولعن من يغبر دا على منه . ومعنى الكتابة باللغة الفصحى هو : هذا القبر صنع كعب بن
حارثة للقبض بنت عبد مناة امه التي هلكت في الحجر سنة مئة واثنين وستين من شهر
تموز . وتعلن رب العالمين من غير هذا القبر من فتحه عدا اولادها ولعن من غير الذي

كنب اعلاه (١)

وقد ورد اسم ثمود في احسد نقوش سرجون الثاني الملك الاشوري الذي حكم في اواخر القرن الثامن قبل الميلاد في جملة اسماء اقوام او قبائل عربية قال انه اخضعها واخذ الجزية منها وانها لم تخضع وتدفج الجزية لأحد من قبله (٢) . ولا يعرف ما اذا كان سرجون وصل في زحفه الى منطقة مداين صالح او إنه اخضع بعض قبائل من ثمود كانت تنزل في التخوم الشمالية من بلاد الشام .

والاقوام او القبائل التي ذكرت في نقش سرجون الثاني هي : خبايا وابايد - عباديد - ومرسمان .

وقد قال بعض الاثريين انها من كان ينزل في منطقة قريبة من خليج العقبة . فاذا صح هذا فيكون القبيل التمودي الذي اخضعه الملك الاشوري فريتماً من ثمود كان ينزل في هذه المنطقة .

ولقد ذكرت ثمود في القرآن اكثر من مرة في معرض التذكير والانذار كما ترى في الفصل التالي مثلاً .

« كذبت ثمود المرسلين . اذ قال لهم اخوهم صالح ألا تتقون . اني لكم رسول امين . فاتقوا الله واطيعون . وما اسألكم عليه من اجر إن اجري على رب العالمين . أتتركون في ما هنا آمنين . في جنات وعيون . وزرع ونخل طلعها هضيم . وتحتون من الجبال بيوتاً فارهين . فاتقوا الله واطيعون . ولا تطيعوا امر المسرفين . الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون . قالوا إنما انت من المسحرين . ما انت الا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين . قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم . ولا تمسوها بسوء فيأخذهم عذاب يرم عظيم . فعنفوها فاصبحوا نادمين . فأتخذهم العذاب إن في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين » الشعراء ١٤١ - ١٥٩

ووصفوا في احد الفصول بانهم اصحاب الحجر كما ترى في الآيات التالية:

« ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين . وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين . وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين » الحجر ٨٠ - ٨٢

(١) تاريخ اللغات السامية لاسرائيل ونغسون ص ١٧٨ وما بعدها .

(٢) تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٢ ص ٣١٣ وج ٣ ص ٤٣٠ .

وقد ذكرت الحجر اكثر من مرة في الكتب اليونانية بصيغ Megra و Macra . وقال بعض الاثرين انها احدى عواصم اللحيانيين . وانها في شمال الحجاز . والتقاليد الاسلامية تقول إن الحجر هي الموقع المعروف اليوم بمدائن صالح في شمال الحجاز او قريبة منه . وفي هذه المنطقة آثار عمران قديم عجيب حيث نُحِتَت المنازل والقبور في الصخور نحتاً متمناً يدل على المهارة والجلد ويصدق عليه وصف القرآن، حتى ليخطر بالبال ان اسم « الحجر » اسم وصفي للمدينة بسبب ذلك ؛ واللمحة العربية بادية عليه كما هو واضح . وكان اهل عصر النبي ﷺ وبيئته يرون ذلك في طريق رحلاتهم من الحجاز الى بلاد الشام ؛ ويعرفون بالتداول ان هذه المنطقة منازل ثمود قوم صالح ؛ وفي القرآن اشارة الى ذلك كما ترى في الآيات التالية :

« وعاداً وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين . وقرون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين . فكلا اخذنا بانبياء فمنهم من ارسلنا عليه حاصباً ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون » . العنكبوت ٣٧ - ٤٠

واذا كان لم يرد في النقوش الثمودية والمدونات القديمة المؤثقة ما يدل على قيام دولة ثمودية على نحو الدولة اللحيانية التي كانت قريبة لمنازل ثمود فان هذا لا يعني نفي قيام دولة ثمودية في هذه المنطقة قبل الميلاد المسيحي ، وقد يكون هذا النشاط والمهارة والذكر من القرائن على قيام مثل ذلك ، ولعل التنقيبات في المستقبل تؤيد هذا الرأي والاحتمال .

ولقد ذكر مؤلفو العرب ثمود . ولكن كلالهم عنهم يتسم في الاجمال بالسمة التي يتسم بها معظم كلالهم عن ما قبل دور العروبة الصريحة من مفارقات واغراب ومزج بين الخرافة والحقيقة القليلة التي تتصل بالآثار المراهنة . ومما قالوه عنهم انهم من العرب البائدة الذين ينبغي ان يكونوا قد بادوا قبل عشرات القرون من الميلاد المسيحي مع انهم ظلوا موجودين يحتفظون باسمهم الى ما قبل هذا الميلاد بقرون قليلة ، وظلت نقوشهم الى الآن شاهدة عليهم ، وظل بعض القبائل - كاللحيانيين - الذين كانوا يعيشون واباهم في وقت واحد محتفظين باسمهم ووجودهم الى البعثة الاسلامية ، وقصارى ما يمكن ان يكون ان الثموديين اندمجوا في قبائل اخرى فأهمل اسمهم القديم .

وكنموذج مما ذكره عنهم ننقل ما جاء في مروج الذهب للمسعودي حيث قال إن ثمود هو ابن عابر بن إرم بن سام بن نوح ، وانه نزل هو واولاده ومن تبعه في الحجر بين الشام والحجاز الى ساحل البحر الحبشي وديارهم في فجّ الناقة في طريق الحاج لمن ورد من الشام بالقرب من وادي القرى ، وبيوتهم الى وقتنا هذا ابنية منحوتة في الجبال ورمهم باقية وآثارهم بادية ومساكنهم المنحوتة على قدر مساكن اهل عصرنا وابوابها صغيرة مثل مساكننا مما يدل على ان اجسامهم على قدر اجسامنا دون ما يخبر به القصاص عن عظم اجسامهم ، وانه أثر عن ثمود هذا الشعر :

انا الفتى الذي دعي ثمودا	يا قوم سبروا ودعوا التريدا
لعلنا ان ندرك الؤسودا	فلحق البسادي لنا العديدا
ان ايننا يعرب الحميدا	وعاد ما عساد الفتى الجليدا

وانهم قد كان لهم في قديم الزمان ملك وان ملكهم الاول هو عاد بن إرم بن ثمود وقد امتد حكمه مئتي سنة ثم ملك بعده جندع بن عمرو وكان ملكه مئتين وتسعين سنة ، وان بعثة النبي صالح كانت في زمن هذا الملك .

ثم اخذ المسعودي يذكر هذه البعثة وما كان من مناواة ثمود لنبيهم وتعجزه وما كان من انغلاق الصخرة وخروج الناقة منها كآية من آيات الله الدالة على صدق رسالته وما كان من تأمر بعضهم عليها وعقرها وما كان من حاول عذاب الله فيهم وتدمير بلادهم .

وفي الشعر والاسماء ومدة الحكم تخليط او تخريف كما هو ظاهر .

هذا . وقد سلكتنا الثموديين في سلك ما قبل العروبة الصريحة مع ما على كثير من الاسماء التي قرئت في النقوش من طابع العروبة الصريحة لان وجودهم كان ممتداً الى ما قبل بروز الشخصية العربية الصريحة .

التيمايون (١)

ويوجد الآن في اعالي الحجاز وطريق يثرب - معان قرية اسمها تيماء ، وعلى مقربة منها خربة فيها احجار ضخمة مربعة يظن انها بقايا معبد قديم ، وقد استنتج الباحثون والاثريون من الاطلال الباقية انه كان في هذا المكان مدينة لا تقل ضخامتها عن الحجر . وقد ذكر اسم تيماء في نقوش تاغلالت بلاشر الاشوري الذي حكم في اواخر القرن الثامن قبل الميلاد في جملة من ذكر فيها من المدن والقبائل العربية التي خضعت وادت الجزية له . وقد ذكر اسمها في سفري اشعيا وارميا من اسفار العهد القديم، وقد ذكرت في الاخير مع ددان - عاصمة اللحيانيين - وملوك البرية وارض عوص وأدوم ومواب وعمون وعيلام الخ .

وقد عرف من الآثار ان تبونيد الملك الكلداني البابلي الذي حكم من سنة ٥٥٥ الى ٥٣٨ ق م بعد بختنصر غزا هذه المدينة في سياق حملة جردها على ادوم ووصل اليها بعد سفر طويل شاق وقتل ملكها واهلها وابنى لنفسه فيها قصراً كالذي في بابل واقام فيها بضع سنين ، حيث يدل كل هذا على انه كان في هذه المنطقة نشاط عربي وملك عربي يمتد الى ما قبل القرن الثامن قبل الميلاد كما هو شأن جيرانها الشموديين واللحيانيين . وقد قال الاثريون ان تيماء كانت ملتقى قوافل التجارة الغادية الرابطة بين الجنوب والشمال وان اهلها كانوا ماهرين في الاعمال التجارية ، وانهم دفعوا الجزية لتاغلالت بلاشر فديسة ورغبة في الاستمرار على نشاطهم التجاري بعد ان وقعت جميع البلاد الشمالية تحت سيطرته .

ولقد كان في تيماء في زمن النبي عليه السلام جالية يهودية على ما يستفاد من كتب السيرة والتاريخ الاسلامي . والظاهر ان جماعة من اليهود الذين نزحوا من فلسطين في القرن الاول او الثاني بعد الميلاد فراراً من تنكيل الرومان قد حلت في هذه المدينة في جملة ما حل فيه اليهود النازحون من مدن الحجاز الاخرى وقراها ، حيث يستدل من هذا على ان هذه المدينة ظلت قائمة نشيطة في المجال التجاري استمراراً على ما كان شأنها قبل (٢) .

(١) مرجع النبذة العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٢ ص ٣٠٥ و ٣٣٥ - ٣٣٦

(٢) انظر معجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٤٢ ؛ وقد اورد ياقوت يئناً طريفاً من الشعر القديم نثبه لهذه المناسبة :

الى الله اشكو لا الى اناس اني بتياء تيماء اليهود غريب

الجرهيون او القرّيون^(١)

ولقد ذكر الكتاب اليونانيون والرومانيون شعباً سموه الجرهيين Cereais وميناءهم Cereika ونشاطهم بأسلوب تنويهي قوي . ومن ذكرهم استرابون فقال ان هناك ميناء Cereika تقع على خليج عميق من خليجان الخليج العربي - الفارسي يسوتها مدينة محجارة الملح واهلها يتاجرون بالطيب والمر والبخور . نعمانها قوافلهم التي تسلك الطرق البرية والبحرية ، الى بابل ثم الى مدينة تاباستوس Thapastus التي ختمها الباحثون بانها مدينة النير - دير الزور - او الميادين في حوض الفرات ومنها الى مختلف الانحاء .

ومن ذكرها قبل سترابون كاتب اسمه يوليوس وآخر اسمه اغاثر سيدس وثالث اسمه ارتميدوروس من اهل القرنين الثاني والاول قبل الميلاد كما ذكرها بيلنوس من اهل القرن الاول بعد الميلاد مما فيه دلالة على ان نشاطها استمر امداً غير قصير من قبل الميلاد الى ما بعده .

وخلاصة ما اوردوه انها كانت مركزاً من المراكز التجارية الخطيرة وسوقاً من الاسواق المهمة في بلاد العرب وملتقى طرق القوافل الواردة من الجنوب والشمال ومرفأً تجارياً يستقبل مراكز وتجارة افريقية والهند والعربية الجنوبية ويعيد تصديرها الى مختلف الاسواق برأً وبحراً ، وقد صار اهلها من اغني شعوب الجزيرة وصاروا يستعملون اواني الذهب والفضة ويزينون بيوتهم بالذهب والحجارة النفيسة ، وقد حرك صيت هذه الميناء وثروتها اطاع انطيوخوس الثالث احد ملوك الدولة السلوقية اليونانية التي قامت في بلاد الشام في او اخر القرن الرابع قبل الميلاد فيجعلته يقرراً اسطولاً في عام ٢٠٥ ق م فيقطع به نهر دجلة ثم الشط للاستيلاء على المدينة الغنية والحفاظ بها بحكمه ، وقد ارسلت المدينة اليه رسولا يحمل رجاها بالانحراف من نعمتي الاسلام والخيرية فاستجاب الى الرجاا واكتفى منهم بغدية كبيرة من الذهب والفضة والحجارة الكريمة .

وبعض الباحثين يظنون ان مدينة العتير او العجير الحالية تقوم على تلك المدينة

(١) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٣ ص ٤١٧ - ٤٢١

القديمة وبعضهم يسمون القطيف . ولقد ذكر الهمداني مكاناً او مدينة قديمة باسم
الجرعاء وقال انها سوق كان يتبايع فيه العرب في منازل بني تميم بين البحرين والاحساء .
ولم تذكر الروايات طريقة الحكم في هذه المنطقة . والغالب انها كانت تحكم من قبل
زعماء قبائلها القوية . وقد كان هذا شأن المناطق العربية الشمالية من جزيرة العرب قبل
بروز الشخصية العربية وبعدها .

ولقد قال الاثريون ان هذا الميناء يقع على الخليج المقابل لجزر البحرين التي تبعد عنه
خمسين ميلاً والتي سذكرها بعد قليل، ولقد كان العرب يطلقون اسم البحرين على الساحل
المقابل لهذه الجزر ايضاً على ما يستفاد من الكتب العربية ، ويذكر اسم مدينة هجر على
الساحل كعاصمة لامارة البحرين التي كانت تحت حكم زعماء بعض قبائل المنطقة القوية
قبيل الاسلام على ما سوف نذكره في القسم الثاني . فما يخطر بالبال ان تكون هجر هذه
هي جرهما والتقارب الحرفي واضح بين الكلمتين .

قبائل وملوك ومدن أخرى

في نقوش الاشوريين (١)

- ١ -

لقد ورد في النقوش الاشورية التي ترجع الى القرن التاسع ثم الثامن ثم السابع اسماء قبائل عربية كانت تتحرك بين شمال الجزيرة الغربي ومشارف بلاد الشام كما ورد فيها اسماء ملوك وملكات من العرب كانت في هذه المناطق وكانت تندمج في الاحداث السياسية والحربية التي كانت تقع على مسرح بلاد الشام والعراق .

وليس في هذه النقوش تفصيلات تساعد على رسم صورة وافية لهذه القبائل والملوك، ولكنها على كل حال تسوغ القول بان هذه المناطق من شمال الحجاز الممتدة الى مشارف الشام كانت تمثل نشاطاً غير يسير في الحقبة التي نحن في صدددها .

ففي نقش لسلمناصر الثالث في القرن التاسع اسم جنديبو ملك اربيبي (Gindibu - Etribi) وخبر اندماجه في جبهة ملوك الشام ضد آشور وتقديمه الف رجل او حبان . ويظن جواد علي الذي يذكر هذا النقش ان بلاد هذا الملك في منطقة من اطراف البادية قريبة من العمران .

وفي نقش لتاغلات بلاسمه الثالث في القرن الثامن اسم زيببي Zabibi ملكة ارض اربيبي اي نفس الوصف الذي وصف به جنديبو . وقد قال النقش انها من جماعة الذين دفعوا الجزية للملك . وما ذكرته نقوش هذا الملك سمسي Samsi وهي ملكة عربية اخرى كانت خاضعة لآشور فحنثت يمينها الذي اقسمت به على الاله شماش العظيم على ما يقول النقش وتعمدت على آشور فسير عليها حملة استولت على مدينتين من مدنها واخذت تطاردها مما اضطرها الى طلب العفو بواسطته وقد ارسلته الى نينوى اسماء رجاله Jarapa وهو الرئيس وقد خرج جواد علي الاسم بكلمات يربع ويريوع او يرفع و Hatranu وقد خرج به بكلمة خاطر او خطر و Gambu وقد فسر به يحناب او جنب و Tamranu وقد فسر به بكلمة تمر وقد قبل الملك توبتها وتقاضى منها جزية ابلا ثم

(١) مرجع هذه التبعة تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٢ ص ٢٩٩ وما بعدها .

ارسل عنقوداً منه ليقيم عنقوداً ويراقب سرقاتها واتهامات شعبها ويرسل بذلك تقارير اليه . وقد ذكر النقش عشاراً بصيغة ميت بها هذه الملكة وهي مئة الف رجل وللاون الف رجل وعشرون الف رأس من الماشية .

وما ذكرته نقوش هذا الملك قبائل *Massa* وحطتي *Hiatti* وسبأ عظماء وخبابا أو حجابا *Hajappa* وبلته *Batna* وادب ايل *Idibeail* وقالت انها خضعت للملك ودفعت له جزية من الذهب والفضة والابل والطيوب ووصفت منازلها في النقش بانها بعيدة جداً في الغرب .

وقد فسر الاثريون هذه الجملة بالتوغل البعيد في البادية وقالوا عن سبأ انها جالية سبئية كانت في البلاد النجديّة التي كانت خاضعة لليمن وقتاً ما على ما ذكرناه في المبحث السابق . وقالت عن القبائل الاخرى انها من القبائل التي كان ينعته الاسرائيليون واسفارهم بالاسماعيليين والتي كانت بين اعالي الحجاز ومشارف الشام .

وفي نقش لسرجون الثاني في القرن الثامن كذلك اسم الملكة سمسي ايضاً ومعه اسم يرغو ملك موسري *Fir'u Mireri* ويتبع امر السبي وقال انه اخذ منهم الجزية .

وفي النقش اسماء عويده *Quaideu* وبسطه *Lusti* وغازي *Agazi* وامبانده *Umbande* ودانانا *Danana* كأسماء مناطق وصلت اليها القوات الاشورية في عهد هذا الملك ووصفت بانها في مطلع الشمس .

وقد قال الاثريون ان موسري ارض في بلاد العرب وان المناطق المذكورة داخلة في ارض مملكة اربي . وحاروا في تعليل ورود اسم يتبع امر السبي . ومن المحتمل ان يكون قصده الجالية السبئية في لحيان التي كانت في ذلك الوقت في حكم يتبع امر ملك سبأ او تحت حكم امير منها هذا اسمه .

وهذا بالاضافة الى ما ورد في نقوش هذا الملك من اسماء ددان وعود ومرسمان التي ذكرناها في بحث التموديين .

وفي نقش استحاريب في القرن الثامن كذلك ورد اسم *Jatie* يطعمه ملكة اربي وبصقانو اخيها وقائد جيشها وقد اشار النقش الى حرب نشبت بين قوات هذه الملكة وقوات استحاريب وانتصار هذا عليها .

وفي نقوش هذا الملك ايضاً اسم الملكة تلخونو *Tellunu* ملكة اربي وخزائسل

ملك قيدر . والثاني من ملوك البادية كما هو المتبادر . وقد نشب نزاع بينهما وبين الملك الاشوري وانهما من امام قواته والتجأ الى قاعة thummiata . التي يظن انها دومة الجندل والتي هي في بادية الشام .

وفي نقش لاسرحدون ان سحراريب انضغ ادومو معقل اريبي . والمرجح انه قصد ادوماتو او دومة الجندل . وحمل المتواضع . اسنامهم ارماتاييم . واسر ملكهم مع بنت له اسمه ثابر وان خزائيل ملك تيدر دفع ضريبة كبيرة وقدم هدايا عظيمة فرضي عنه اسرحدون ورد اليه اصنامه . وما ذكر في نقوش اسرحدون ان هذا الملك عين الاميرة ثابر بعد ان تربت في البلاط الاشوري ملكة اريبي كما نسب شخصاً اسمه thabara . سماه جميل المدور في كتابه تاريخ بابل واشور (١) هويث . عمل خزائيل ملكاً على قيدر حينما توفي ، وان هويث هذا تمرد على آشور فزحفت عليه القوات الاشورية فلم يكن له بها طاقة ففر متوغلاً في البادية وان اسرحدون توغل في البادية ونكل بقبائل عربية كانت تنزل في ارض بازو وخازو وقتل فيها ثمانية ملوك وهم kida . kiso . ملك ايل . kipiati . وونيني . Napiate . ومنسكو . kanchu . ملك مجلاني . Marakani . والملكه يافا . Iapa . ملكة دخراني . kibrani . وخيصو . Halisa . ملك Dadabe . قسداباء ونيخرو . Niharu . ملك جعفاني . Ga'pani . والملكة بايلو . Ba'ila . ملكة اخيلو . Iaelu . وخباترو . Abanamru . ملك بداء . Duda . واسر خلقاً كبيراً من اتباعهم وحمل معه آلهتهم . اصنامهم . وان ليل . kaili . ملك يادي . kadi . تمكن من النجاة غير انه ذهب الى نينوى وطالب العفو فصيح عنه واعاد اليه اصنامه وعينه ملكاً على ارض خازو .

ويظن الاثريون ان هذه الممالك العربية هي في العربية الشمالية فيما بين مشارف الشام واعالي الحجاز . ومنهم من ذهب الى ان بازو هي نجد وخازو هي الاحساء . وفي نقش لاسور بانيبال ان هريثع المار ذكره لجأ اليه حينما صار اليه الملك واسترضاه فرضي عنه واعاده الى مركزه واعاد اليه اصنامه التي منها ارسماين او عشر سمائين ، ولكنه عاد فانضم الى شموكين اخي اسور بانيبال في النزاع الذي نشب بينهما وايده بغوة ، وقام هو بهجمة على الحدود الغربية من اراضي بلاد الشام الخاضعة لاشور . فلما دارت الدائرة على شموكين ارسل اسور بانيبال قواته فنكلت بهويث وغيره من المتآمرين مع اخيه تنكيلا شديداً .

وبعض الاسماء والاعلام تبدو عليه اللبسة الصريحة . ولسوف نعود الى ذكرها بيان اكثر في القسم الثاني من هذا الكتاب ان شاء الله .

(١) من ١١٦ - ١١٨ وهذا المؤلف يصف هويثع بأنه ملك الحجاز وأنه كان في يثرب وأنه تهر على ملك اشور اسور بانيبال مع اخيه شموكين فزحف عليه اسور وحاصره في يثرب وضيق عليه الحناق فلم يجد مناصاً من اعلان الخضوع وطب العفو . وهو ينفرد بذلك دون سائر مؤرخي العراق .

مدن وموانئ وقبائل شمالية اخرى في كتب اليونان والرومان القديمة

- ١ -

ولقد ورد في كتب اليونان والرومان القديمة اسماء عديد من مدن شمال الجزيرة وموانئها وقبائلها باسلوب يدل على ان هذه الاسماء كانت على شيء غير يسير من النشاط في القرن الاول بعد الميلاد ، مع التنبيه على ان اكثر الاسماء قد غلبت عليها الصيغة او التهجئة اليونانية حتى كادت تفقد تحتها العربية ، وحتى جعل ذلك الأثريين يحارون في تفسيرها ويختلفون فيه . وهذا شأن ما ذكروه من اسماء واعلام جنوب الجزيرة على ما نبهنا عليه قبل .

وها نحن نقبس شيئاً مما كتبوه ونلحقه بهذا البحث ولو ان العروبة الصريحة اخذت تبرز حينما كتب هؤلاء المؤلفون كتبهم . لان المتبادر ان نشاط سكان هذه المناطق كان امتداداً لقرون عديدة سابقة عن زمن المشاهدة والتدوين .

- ٢ -

فما ذكروه جزيرة تقع على خمسين ميلاً من خليج الجرهانيين في الخليج العربي الفارسي سماها بعضهم تيروس Tyros وبعضهم Tyllus واخرى بجانبها سموها اردان Ardan ، وقالوا عن الاولى انها معروفة مشهورة بكثرة لؤلؤها وان فيها مدينة تسمى باسمها ، وان القواد الذين ارسلهم اسكندر المكدوني لاستكشاف جزيرة العرب قد نزلوا فيها ، وانها ذات مياه وثمار وزراعة منها القطن ، وان فيها معابد قديمة يقال انها بقايا معابد فينيقية وان اهلها يقولون ان اسماء جزرهم ومدنهم مثل اسماء الاماكن الفينيقية ، وقد وجد فيها مقابر تشبه مقابر الفينيقيين كما عثر فيها على حلي ذهبية وخرز وحجارة نفيسة للزينة ، وقد خن الباحثون ان الجزيرة الاولى هي جزيرة البحرين اليوم والثانية هي جزيرة المحرق ، وقالوا ان هذه المنطقة كانت المرحلة الاولى للفينيقيين قبل قدومهم الى السواحل الشامية . ويلحظ شيء من التشابه في التسمية فمدينة صور الكنعانية الفينيقية على الساحل الشامي كانت تسمى Tyr واسمها اليوم متطور عن هذا الاسم ، وفي مياه البحر

المتوسط القريبة من هذا الساحل جزيرة اسمها ارواد كانت من جملة منازل ودول الفينيقيين .
والتشابه بين اسمها واسم Aradan ظاهر .

ولقد ورد في نقوش سرجون الثاني الاشوري اسم دلمون Tilmon في سياق ذكر الانحاء التي غزاها هذا الملك ، وقال الآثريون انها البحرين او السواحل المواجهة لها
وانها اشتهرت بثمارها ومعادنها واخشابها ، وانه كان يقوم فيها مملكة وملوك ، حيث
يدل هذا على ما كان لهذه المنطقة من نشاط ممتد الى ما قبل القرن الثامن قبل الميلاد .

ومما ذكره جزيرة اخرى اسمها ايكارم Icaeu من جزر الخليج العربي - الفارسي ،
وقالوا انها تبعد عن الساحل الجنوبي للعراق مئة وعشرين ستادة وانها مغطاة بالغابات
الكثيفة وفيها ضريح مزار يؤدي الناس عنده عبادتهم اليومية . والصيد فيها محرم تحريماً
دينياً ويسير العز الوحشي فيها بكل حرته بسبب ذلك ويخمن الباحثون ان هذه الجزيرة
هي الجزيرة المعروفة اليوم باسم شرارة .

ثم ذكروا بعد هذه الجزيرة خليجاً سموه Capuas تنزل فيه قبائل الابوقيون
Abukaishn والخطائيون Chattaiei والجلوبيون Gaulopes ، ويظن بعض الباحثين ان
الخليج المذكور هو خليج القطيف وان الابوقيين هم اصل الاسم الذي صار عبد القيس
وهم القبائل التي كانت صاحبة القوة والسلطان في هذه المنطقة قبل الاسلام .

ومما ذكره انه يقطن في السواحل المواجهة لجزر Tyros و Arand قبائل عديدة
سموا احداها Nochaeti التي يمكن ان تكون النشاطي او النخاطي وثانية Zurayi التي
يمكن ان تكون الزراري وثالثة Borgadi التي يمكن ان تكون البراغده ثم يأتي بعدهم
اراضي Cattarrei واعرافها وهي المنطقة المعروفة اليوم باسم قطر على رأي بعض
الباحثين .

وذكروا بعد هذا جملة مدن منها Batrasablu التي يمكن ان تكون بيت رصافة او
بيت رصابا و Amana و Hamana و Attana ، وقد قال بعض الباحثين ان هذه
المدن واقعة بين النهاية الجنوبية لشبة جزيرة قطر ورأس الخيمة في فم الخليج العربي وان
Attana هي مدينة الخطيين وان Amana تعني بلاد عمان ومما قالوه عن Amana انها
كانت تتمتع بشهرة واسعة في عالم التجارة وان التجار كانوا يقصدونها اكثر من اي
ميناء آخر يقع على هذا الساحل .

ثم ذكروا ميناء سموه Moscha Portus وقالوا إنه من الموانئ الشهيرة ، وهو ميناء

مسقط على ما فسرهُ الاثريون ، ثم ذكروا بعض القبائل التي كانت تقطن في المناطق
المذكورة فسموا احدها بالامباراني Epimaranite وثانية بالاشتوفاجي Ichtyphagi
وثالثة بالبانيسي Datlymi ورابعة بالقادي Cadai ، وخامسة بالايثامي Epitami
وسادسة الكساني Latami وسابعة بالتالودي Talodi (١) .

— ٣ —

والذي اورده عائد الى الانحاء الشرقية الشمالية من الجزيرة . اما الانحاء الغربية
الشمالية منها فما ذكره الكتاب الرومان واليونان القدماء ميناء على البحر الاحمر سموه
Lu e kome الى المدينة البيضاء وقالوا انه من اهم الموانئ التجارية على سواحل الحجاز
في عهد البطالسة تنجده منه السفن الى الساحل المصري لتفترغ شحنتها فيه فتنتقل اما
بواسطة القوافل او السفن من القناة المحفورة بين البحر الاحمر والنيل وتتابع طريقها الى
موانئ البحر المتوسط ، وكانت تصل اليها من بطرا قوافل ضخمة جداً كأنها قطع
كبيرة من الجيش فتحمل منها غلات البحر الاحمر والبحر الهندي وتقلها الى اسواق
الخليج العربي الفارسي والعراق والشام ، وقد ظل هذا الميناء مزدهراً الى ما بعد الميلاد
بقليل ثم اقل نجمه واهمل الكتاب ذكره ، ويعمل الباحثون ذلك بتحول خطوط سيز
السفن في البحر الاحمر بعد استيلاء الرومان على مصر .

ويرى بعض الباحثين ان هذا الميناء هو الحوراء والحوراء من المواقع العربية الساحلية
القديمة التي ذكرتها الكتب القديمة العربية ؛ وقد وجدت فيها آثار عمران كثيرة على ما
ذكرته هذه الكتب . وبعض الباحثين يرون انها المويلح ، وهي اليوم قرية ساحلية في
جنوب المدينة فيها بساتين ومزارع ونخيل ولها طريق قوافل الى المدينة والى تبوك .

وقد ذكر هذا الميناء استرابون بمناسبة ذكره حملة اوليوس غالوس التي سيرها القيصر
اوغسطس على جزيرة العرب على ما سوف نذكره في القسم الثاني من هذا الجزء ،
وقال ان الحملة زلت في هذا الميناء واحتلته وانشأت فيه دائرة لجباية المكس من السفن
والتجار وتقاضت قيمة ربيع اثمان البضائع الواردة مكوساً .

وبما ذكروه ميناء Nera الذي يظن الباحثون انه ينبع البحر ، وميناء Lambie

(١) مرجع هذا البحث العرب قبل الاسلام ج ٢ ص ٤٢١ وج ٣ ص ٢٩٣ وما بعدها .

اتقني يظن الباحثون انه ينبع النخل ، وقالوا عن هذا انه ميناء شهر مريخ واهين وبه
 ياد عذبة ويصب فيه نهر واسمي وسطه جزيرة بها مياه غزيرة صالحة للثب والزراعة ،
 ويأتي بعد هذا الميناء في كلامهم خليج فيه تار غاية ثلاثة معابد مرتفعة لأفنة مشهورة عند
 اهل البلاد ، يأتي جبل سموه Chabenus وشعب سموه Dabne وقالوا ان هذا الشعب
 يعني بتربية الابل ويمش على البانها ولحومها ويستعملها في ثقلاته ، وانه يخترق
 ارضهم نهر يحمل مع مياهه تراب الذهب ولكنهم لا يعرفون استخراج الذهب منه
 فيذهب الى البحر مع المياه ولا يسبحون للغرباء بالمنزل عندهم ، وقد خمن بعض الباحثين
 بوقوع الجبل بين موقعي التايث وقنفذه في بلاد العسير وشعب ربما بقبياة زبيدة او بقبياة
 طيبة وكلاهما من قبائل المناطق الشرقية الشامية القديمة .

وقد ذكروا بعد Dedae اسم شعبين او قبياتين اخرين وهما الليلي Aililoi والغازاندي
 Gasandi وقالوا ان بلادهم مرتفعة وفيها هضاب تتساقط عليها الثلوج احيانا وانما
 عذوبة بالقواكه والتمرح ، وغنية بالذهب يستخرجونه صافيا وقطعا صغيرة وهو وفير
 يتزينون به ويعبونه بشمن بخس ويبادلون به الحديد والبرنز وزنا بوزن لثقتيها عندهم .
 وقد خمن بعض الباحثين بان هذه المنطقة من مناطق بلاد عسير التي اشتهرت بمناجها
 الذهبية .

ومما ذكروه مدينة adani التي خمنها بعض الباحثين بكديد الواقعة قرب مكة
 و daron التي خمنها بعض الباحثين بقرب المنازل قرب مكة كذلك و Mariba التي
 خمنها بعض الباحثين بمكة و Phuda التي خمنها بعض الباحثين بفتح القرية
 من الطائف ، وقد ذكر واحد منهم اسم Mararaba وخمنه بعض الباحثين
 انه اسم مكة كذلك وقال ان الاسم العربي يحتمل ان يكون مكربة
 او مقربة بمعنى المكان الذي يتقرب فيه الى الله ، وكلمة مكرب في اليمن كانت تدل على
 معنى الزعامة الدينية . وليس من المستبعد ان يكون اسم مكة تطورا عن هذه الكلمة .
 ولم يرد فيما ذكروه اساء يمكن تحريفها بالطائف او يثرب او جدّه وهو عجيب لان هذه
 المدن كانت قائمة على الارجح حينما كتب هؤلاء الكتاب كتبهم . ولقد جاء اسم «يثربو»
 في احد النقوش الاشورية ، وفي هذا دليل حاسم (١) .

(١) مرجع هذا البحث العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٢ ص ٣٧٨ وما بعدها وج ٣ ص ٢٩٣
 وما بعدها .

الاسماعيليون ومكة والكعبة

ولقد ورد ذكر الاسماعيليين في اسفار العهد القديم اكثر من مرة حيث جاء في سفر التكوين ان قافلة تجارية من الاسماعيليين كانت قادمة الى فلسطين من شرق الاردن بطريقها الى مصر هي التي اشترت او اخرجت يوسف من الحب وباعته في مصر .. ويصادف وقوع هذا الحادث للقرن التاسع عشر قبل المسيح . وقد جاء في سفر الخروج ان الاسماعيليين حاربوا اليهود في شرق الاردن في جملة من حاربهم بعد خروجهم من مصر واتجاههم نحو فلسطين . ويصادف هذا القرن الثالث عشر قبل المسيح . وقد ذكر نقش من نقوش بختنصر ملك بابل انه اكتسح جزيرة العرب وغلب الاسماعيليين .

والتفسيرات اليهودية تقول ان الاسماعيليين هم انسال اسماعيل بن ابراهيم . وقد جاء في سفر التكوين ان ابراهيم اسكن اسماعيل وامه في بركة فاران وانه ولد له اثنا عشر ولدا . وهذه التفسيرات تقرر ان هذا الموقع في شبه جزيرة سيناء وقريب الى العقبة ، وتفيد الى هذا ان ابناء اسماعيل وهم نبايوت وقيدار وادب ثيل ومبسام ومشماع ودومة ومسا وحدد وتيا ويطور وتافيش وقدمة اصهروا الى القبائل العربية المجاورة لهم واختلط نسلهم بهم .

ومن التقاليد التي كان الحجازيون العدنانيون يتداولونها قبل الاسلام ان ابراهيم انما انزل اسماعيل في وادي مكة وان اسماعيل اصهر الى قبيلة جرهم العربية واندمج فيها فكان من هذا الاندماج والتزاوج القبائل التي تنسب الى عدنان والتي كانت منتشرة قبل الاسلام في الحجاز ونجد وتهامة ، منها من كان يعيش عيشة الحضارة ويسكن القرى والمدن ويزرع ويتجر ومنهم من كان يعيش عيشة البداوة والتنقل ويعيش على الانعام .

ومن المحتمل ان يكون اصل هذه التقاليد جاء الى العرب قبل الاسلام من الاسرائيليين اليهود الذين حلت جاليات منهم في يثرب وضواحيها قبل الاسلام ببضعة قرون حينما ضربهم الرومان في فلسطين وشردوهم عنهما بقصد التقرب الى العرب وكسب ثقتهم باعلامهم انهم يمتون الى اب واحد هو ابراهيم والد اسماعيل ابني العرب واسحق ابني بني اسرائيل .

ومن التقاليد التي كان يتداولها الحجازيون قبل الاسلام والتي من المحتمل ان يكون اصلها من بني اسرائيل كذلك ان ابراهيم واسماعيل هما اللذان بنا الكعبة بيت عبادة

الله ، وان حرمة الكعبة ومنطقة مكة وتقاليدهم وطقوسه المتنوعة في هذه المنطقة من سنن ابراهيم (١) .

والنصوص القرآنية وتفسيراتها تؤيد هذه التقاليد اجمالاً كما ترى في النصوص التالية التي وان كان اسلوبها اسلوب وعظ وتذكير وتنويه فان فيه ترديداً لما كان يتداوله السامعون ويعرفونه جرياً على الاسلوب القرآني في القصص :

١ - واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأماناً واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود . واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتنعه قليلاً ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير . واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا إنك انت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك انت التواب الرحيم . ربنا وابحث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم .. البقره ١٣٤ - ١٣٩ .

٢ - قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين . إن اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدي للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً ومن كفر فان الله غني عن العالمين .. آل عمران ٩٥ - ٩٧

٣ - واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً واجتنبني وبنيتي ان نعبد الاصنام رب انهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم . ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون . ربنا انك تعلم ما

(١) في آيات سورة البقرة (١٤٠ - ١٥٠) التي احتوت تنديداً باليهود لدسائهم بين المسلمين في ظروف تبديل ست القبلة من المسجد الأقصى الى الكعبة آية جاء فيها « وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربك وما الله بغافل عما يعملون » حيث ينطوي فيها تقرير كـون اليهود يعرفون الحق في افضلية الكعبة وادمتها وكون استقبالها صواباً عند الله . وقد يفيد هذا انهم كانوا يتعدثون الى العرب قبل الاسلام بضائل الكعبة وقدها وصلتها بابراهيم واسماعيل وابوة ابراهيم للعرب ايضاً .

نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحق إن ربي لسميع الدعاء . ابراهيم ٢٥ - ٣٨

٤ - واذ بتوأنا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود . واذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله على ما رزقهم من بين الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير . ثم ليقضوا نفنهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق . الحج ٢٦ / ٢٩

٥ - وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سبأكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس . الحج ٧٨

ويلفت النظر بنوع خاص الى ما ذكرته آيات البقرة وآل عمران عن مقام ابراهيم حيث عنت ان هذا المقام هو علامات واضحة معروفة للناس في فناء مكة وان الناس كانوا يتداولون قبس نزل القرآن انها من آثار ابراهيم . ولعل ذلك قد اتاهم من اليهود ايضاً .

ونشب اني تستدرك امرأ . فنحن اذ نقول إن من الممكن ان يكون اصل هذه التقاليد قد جاء الى العرب قبل الاسلام من اليهود لا ننفي صحتها ما دامت متطابقة اجمالاً مع القرآن .

وعلماء الكتب المقدسة والباحثون يقدرون وجود ابراهيم واسماعيل حوالي القرن العشرين قبل الميلاد المسيحي وهذا يعني ان الكعبة ومكة وجدتا في مثل هذا العهد السحيق في القدم . ولقد اشار ديودورس الصقلي من اهل القرن الاول قبل الميلاد الى الكعبة في سياق كلامه عن الانباط حينما قال « ووراء ارض الانباط بلاد فيها هيكلي يحترمه العرب كافة احتراماً كبيراً (١) حيث يدل هذا على تقدم وجود الكعبة على زمنه مدة طويلة وما كان لها من احترام شامل ويتبع هذا تقدم وجود مكة ايضاً .

وقد قلنا قبل قليل إن الباحثين خمنوا ان المدينة التي سماها الكتاب اليونانيون

(١) العرب قبل الاسلام لزيادات ص ٢٤٤

Macoraba هي مكة وان الاسم متطور من كلمة مكربة التي تعنيها التهجئة اليونانية = مقوروبا = وان الكلمة تعني المكان الذي يتقرب فيه الى الله وهو قسطنطين مقبول يؤيده التائل القريب بين كلمتي مكة ومكربة . وكلمة مكرب استمال ديني قديم منذ عهد الدولة السبئية الاول الذي يرجع الى الف او اكثر قبل الميلاد المسيحي . وهذا يؤيد قدم مكة وبالتالي قدم الكعبة الحقيق ، وبنت الطران وصف الحق الذي وضعت به الكعبة آية الحج (٢٩) التي اورعناها آنفاً ، والذي هو توريد لما كان معلوماً مسلماً به من الساميين ، والذي لا بد من ان يكون بسبب قدم صحيح لا يكاد يعرف اوله .

ونقف عند هذا الحد من التعليق ، ونقول فقط ان النفس لا ترتاح الى الروايات العربية والتفسيرات العربية التي تغزو جميع القبائل التي يشملها اسم العدنانيين او جميع العرب الى اسماعيل بن ابراهيم ، وليس من الضروري ان يكون من قبيل التميم في مقام التخصيص مما هو مأثور في النظم القرآني . وكل ما يمكن ان يكون هو ان اسماعيل تزوج بأمرأة عربية في وادي مكة وانسج هو ونساء في قبائلهم الرأه .

ملك العماليق وجرهم في الحجاز

وتتحدث الكتب العربية عن ملك لجرهم والعماليق قام في مكة في ذلك العهد السامي في القدم . وكلامهم ادخل في باب التخريف منه في باب التاريخ . فالاسماء عربية فصحي والشعر المروي عربي فصيح بينما كان الوقت قبل الميلاد المسيحي بقرون عديدة تزيد على العشرة .

فما رواه المسعودي مثلاً ان ثابت بن اسماعيل هو اول من تولى امر البيت ثم غلبت جرهم ابناء اسماعيل وتولوا الأمر ، وان اول من تولاه منهم الحارث بن مضاض ، وكان ينزل في الموقع المعروف اليوم باجياد الذي سمي من ذلك اليوم بهذا الاسم لان الجياد جالت فيه ، وكان الى جانبه ملك العماليق السمينذع بن هود بن حنبل بن ماذن بن قنطورا وكان ينزل في الموقع المعروف اليوم بقيقعان والذي سمي من ذلك اليوم بهذا الاسم لان السلاح قعقع فيه ، وكان كل منهما يعثر من دخل مكة من ناحية ثم اختلعا واقتلا وغلب العماليق فصارت جميع الولاية له ، ثم غلبهم الجراعة عليها وظلوا يقولونها ثلاثمائة سنة ، وكان آخرهم الحارث بن مضاض الاصغر بن عمرو بن الحارث بن مضاض الاكبر ، ثم بغت جرهم في الحرم وطغت حتى فسق رجل منهم في الحرم بأمرأة فسخوها

الله حجرين وبعث على جرهم الرعاف والنمل وغير ذلك من الآفات فهلك كثير منهم .
وكان ابناء اسماعيل قد كثروا وقوا فغلبوا اخوالهم واخرجوهم من مكة ، ثم صارت
ولاية البيت الى بني رباد بن زرار بن معد ثم لبني مضر بن زرار .

وقد اورد المسعودي بيتين من الشعر لعمر بن الحرث بن مضاض الاصغر الجرهمي
في ذلك وهما :

وكنا ولاة البيت والقاطن الذي	اليه يؤدي نذره كل محرم
سكننا بها قبل الظباء وراثة	لها عن بني هي بن بنت بن جرهم

ونكتفي بهذه النبذة لان ما جاء في الكتب العربية لا يخرج عن نطاقها ولا يفيد تاريخاً
بالنسبة للحقبة التي نكتب عنها .

ولقد قلنا ان سفر التكوين ذكر خبر قدوم قافلة تجارية من الاسماعيليين الى فلسطين
في طريقها الى مصر فاذا صح تفسير العرب بان كلمة الاسماعيليين تعني العدنانيين او
بعضهم وهذا لا يتناقض مع المنطق فيكون فيما ذكر دلالة مهمة على نشاط تجاري في هذه
المنطقة منذ التي سنة قبل المسيح .

ولقد عرف معرفة يقينية في دور العروبة الصريحة انه كان في الحجاز وخاصة في مكة
نشاط تجاري عظيم ، وان قوافلهم التجارية كانت تأتي الى بلاد الشام وحواران والبلقاء
وفلسطين وتمر منها الى مصر مما فيه مشابهة لما حكى عن قوافل الاسماعيليين التجارية ،
ومما يمكن ان يسوغ القول انه لا يبعد ان يكون امتداداً لنشاط قديم مماثل . واذا صح
هذا وهو في اعتقادنا غير خال من الصحة فانه يعني كذلك ان عرب الحجاز كانوا على
حظ غير يسير من الحضارة منذ الازمنة القديمة كما هو شأن جنوب الجزيرة وشرقها ،
ونرجو ان يتاح للمختصين من العرب وغير العرب التنقيب فيها والعثور على ما يحلو
كثيراً من آثار ذلك الحظ والنشاط .

كلمة وجيزة عن العقائد والافكار الدينية

في شمال الجزيرة

لقد نبهنا على ما هناك من تماثل بين اسماء المعبودات الثمودية واللحيانية واليمينية واستدلنا منها على التماثل في العقائد والافكار الدينية بين سكان اعالي الحجاز وسكان جنوب الجزيرة .

ولقد عرف معرفة يقينية ان بين المعبودات الحجازية في دور العروبة الصريحة قبل الاسلام اسماء مائة واللاة وهذان المعبودان من اسماء المعبودات اللحيانية والثمودية على ما نفيده النقوش التي ترجع الى بضعة قرون سابقة عن الاسلام حيث يمكن ان يستدل من ذلك على ان هناك تماثلا وتشاركاً في العقائد والافكار الدينية بين اللحيانيين والثموديين والحجازيين ويسوغ القول ان العقائد والافكار الدينية في شمال الجزيرة ليست خارجة عن نطاق ما كان منها في جنوب الجزيرة .

ولقد اوردنا آيات قرآنية عديدة في خاتمة بحث العقائد الدينية في جنوب الجزيرة فيها صور لما كانت عليه العقائد والافكار الدينية في عصر النبي عليه السلام وبيئته وهي شمال الجزيرة ، ونبهنا على ما فيها من تماثل في ذلك بين شمال الجزيرة وجنوبها ، وعلى اتصال ذلك بالاجيال السابقة لعصر النبي عليه السلام وتجاوزه الى غير بيئته . وواضح ان ما في هذه الآيات من صور ودلالات وارد من باب اولى في مجال الكلام عن العقائد والافكار الدينية في شمال الجزيرة .

تنبيهان

هذا ، وقبل ان ننتهي من هذا البحث ننبه الى امرين :

الاول : انه لا يوجد في النقوش المكتشفة والمدونات القديمة ما يدل على انه قام في شمال الجزيرة في دور ما قبل العروبة الصريحة دول شاملة السلطان قوية النشاط في المجال السياسي والحربي والعمراني كما كان ذلك شأن جنوب الجزيرة ، وان كل ما كان من

امر قيام دول او امارات او مشيخات لم يكن سلطانها يتجاوز المدينة التي تكون عاصمة لها وما حولها من قرى وقبائل ، وان الروايات والتقاليد العربية ايضاً لا تحتوي ما يتناقض مع هذا مع واسع مبالغاتها وخيال قصصها . ومرد هذا فيما يتبادر لنا طبيعة هذا القسم الجغرافية ، فهو مترامي الاطراف كثير المفاوز والصحارى المعطشة قليل المياه ، شديد الحرارة ، وكان العمران والنشاط يقوم في مناطق غير مترابطة ببعضها اشبه بواحات منها ببلاد متجانسة مترابطة ، وهذا عكس الجنوب الذي كان اكثر مياهاً واحسن مناخاً واضيق مساحة واكثر ترابطاً وتجانساً .

اما الامور الثاني فهو ان اللمحة التطورية في الاتجاه نحو العروبة الصريحة واللغة الفصحى بادية على كثير من الاسماء والصيغ الواردة في النقوش المكتشفة في الشمال كما هو الامر بالنسبة للجنوب بقطع النظر عن ركافة الصيغة اليونانية التي شابت الاسماء التي ذكرها الكتاب القدماء ، ومع ذلك فان هذه الركافة لم تفقد هذه الاسماء لاحتها العربية وان كانت شوهدتها .

من مراجع هذا الجزء :

تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ١ و ٢ = العرب قبل الاسلام جرجي زيدان = تاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولنغسون = تاريخ العرب لحتي = الاساس في اللغات السامية والامم السامية للابراشي ورفقاه = تاريخ الاسلام لكايتاني الترجمة التركية = طبقات ابن سعد الكبرى = معجم البلدان لياقوت = مروج الذهب للمسعودي = تاريخ مصر من اقدم العصور لبريستيد = القرون القديمة لبريستيد = اسفار العهد القديم = تاريخ سورية للديبس = تاريخ الطبري = الكافي في تاريخ مصر لشارويم = تسريح الابصار للاب لامانس = التاريخ الكبير بالتركي لاحمد رفيق ج ١ = تاريخ السودان لحسن كمال = الاثر الجليل لسكان وادي النيل لاحمد نجيب = الحضارة المصرية لفيستاف لوبون = تاريخ مصر قبل الفتح وبعده لسفيدج والاسكندري ج ١ = تاريخ مصر موت لصالح البكري = مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة طه باقر = محاضرات في تاريخ العرب للدكتور صالح احمد العلي .

فهرس

صفحة	صفحة
٧٩ مكاب وملوك حضرموت	٥ المقدمة
٨٠ صور عن الدولة الحضرموتية مقتبسة عن نقوشها	٢٥ المجلس العربي في الجزيرة العربية
٨٢ صور عن حضرموت في المدونات القديمة	٢٦ منشأ المجلس العربي وقدمه في الجزيرة
٨٣ عاد والاحفاف في القرآن	٢٨ مصادر تاريخ العرب في الجزيرة
دول وامارات وقبائل مهمة اخرى في جنوب الجزيرة	٣١ القحطانيون والعدنانيون
٨٧ المملكة الاوسانية وآثارها	٢٣ في جنوب الجزيرة
٨٨ حملان	الدولة المينية
٩٢ بنع	٤٠ نظام الحكم في دولة معين
٩٣ سمي	٤٢ صلة معين بحضرموت
٩٥ اسماء قبائل عديدة اخرى	٤٥ الدولة السبئية
٩٧ لجة في العقائد الدينية في جنوب الجزيرة	نشوؤها
١١١ في شمال الجزيرة اللحيانيون	٤٦ مكاب سبأ وحالة الدولة في عهدهم
١١٢ الشواديون	٤٩ نظام الحكم في عهد المكاب
١١٩ الجرهميون او القرينيون	٥١ عهد المكرب بنع امر
١٢١ قبائل وملوك ومدن اخرى في نقوش الاشوريين	٥٥ دور الملكية في سبأ
١٢٤ مدن ومواني وقبائل شمالية اخرى في كتب اليونان والرومان القديمة	٥٨ صور متنوعة عن دولة سبأ في دور الملوك
١٢٨ الاسماعيليون ومكة المكرمة	٦٤ صور عن حالة سبأ من المدونات القديمة
١٣١ ملك المساليق وجرهم في الحجاز	٦٧ الدولة الفتبانية
١٣٣ كلية وجيرة عن المعنائد والافكار الدينية في شمال الجزيرة	نشوء دولة قتيان وآثارها
١٣٤ من مراجع هذا الجزء	٦٧ تطور الحكم في دولة قتيان
	٦٨ مكاب وملوك قتيان
	٧٠ حروب قتيان وسبأ
	٧٣ عناية ملوك قتيان بالزراعة والتجارة
	٧٥ فنون قتيان
	٧٨ الدولة الحضرموتية
	٧٨ نشوء دولة حضرموت وامدها